13 من أجل مصلحة سلاح البحرية

«أنا الكابتن رايان Ryan وسوف تشهد ضد الكابتن مكڤاي!».

كان الكابتن توماس ج. رايان، الابن Thomas J. Ryan, Jr في الرابعة والأربعين من عمره قصير القامة ومزهواً بنفسه وهو الذي سيقاضي الكابتن مكڤاي ويدير جلسات المحاكمة. خاطب رايان غايلز ماكوي، أحد الرجال الذين أرسلوا إلى واشنطن بعد انتهاء إجازته ليدلي بشهادته أمام المحكمة العسكرية. كان رايان محامياً، رأس إدارة المعدات الحربية والمدفعية في أنابولس وكان معروفاً عنه أنه إيرلندي هادىء مرح يحب الشراب والقانون أيضاً ولكن يأخذ عمله على محمل الجد. ووفقاً لبعض معارفه، كان يخفي طموحاً جياشاً بينما يتظاهر بأنه خال من أية هموم.

أجل، كان صديق مكڤاي وزميل دراسة سابقاً، ويكره تحطيم مهنة الرجل. ولكن كان عليه أن يهتم بمهنته. فقد سبق وأن نال وسامين بحريين بصفته قائداً لسرب مدمرات في حملتي نيو جورجيا

New Georgia وجزيرة راسل Rassell، وسيتولى قريباً قيادة الطراد بروفيدنس Providenec. لذلك من شأن إحراز انتصار الآن في حالة بالغة الحرج بالنسبة لرؤسائه أن يمهد الطريق له لبلوغ القمة. إذا كان ماكوي ذكياً، سيلعب لعبة سلاح البحرية أيضاً. ولكنه كان في غاية الاستقامة بحيث يتعذر عليه أن يكون ذكياً.

أجاب: «كلا. أنت مخطىء. إنني أكن تقديراً للكابتن مكڤاي. إنه قبطاني ولن أشهد ضده».

احمرّ وجه رايان. كان مكڤاي يواجه تهمتين: عدم التعرُّج في أحوال جوية جيدة، والانتظار لفترة طويلة للغاية قبل أن يأمر الطاقم بإخلاء السفينة. كل ما كان يريده رايان من ماكوي هو القول إنه لم يكن هناك نداء لإخلاء السفينة.

سأل: هل سمع ماكوي النداء؟

كان ماكوي حذراً. أجاب: «كانت هناك ضجة عالية للغاية بحيث لم أكن لأستطيع سماع صوت البوق حتى وإن نفخه أحدهم في أذني».

ازداد احمرار وجهه. قال رايان: «لا تزال في الخدمة، يا ماكوي. وأنا نقيب في البحرية».

لكن لم يكن ماكوي من النوع الذي يقبل التخويف. قبل ساعات فقط، تشاجر في حانة مع بعض البحارة الذين تفوهوا بملاحظات تحط من قدر مشاة البحرية واضطر إلى خياطة جرح فوق عينه. على

أية حال، بعد ما بقي حياً لمدة خمسة أيام من الأهوال في مياه المحيط الهادىء، شعر بأنه يستطيع التغلب على أية حالة والبقاء حياً.

قال: «لقد مررت بأشياء كثيرة. بالتالي ماذا يريد مني؟».

خفّف رايان من نبرة صوته ودفع بورقة عبر مكتبه تقول إنه لم تكن هناك دعوة لإخلاء السفينة. وأمر ماكوي قائلاً: «هذا ما أريد منك قوله».

ولكن لم يتزحزح ماكوي عن موقفه.

صاح رايان: «إذن أخرج من هنا. سأراك لاحقاً حين تؤدي اليمين».

غادر ماكوي وهو كئيب الوجه وسأل أحد ضباط مشاة البحرية الذي رافقه: «أعتقد أن النقيب سيسبب لي متاعب إذا لم أقرأ شهادته. هل بوسعه محاكمتي عسكرياً؟».

قال الضابط: «لن ندع ذلك يحدث».

ومع ذلك، شعر ماكوي بأنه خدع. كان فخوراً بأنه حارب من أجل بلده، والآن يريد بعض كبار الضباط العسكريين أن يجعلوا من قبطانه كبش فداء للتغطية على أخطائهم الفادحة. ليس هذا نوع العدالة التي من أجلها مات الكثير الكثير من رفاقه.

كان النقيب رايان مضطرباً أيضاً. فقد رفض جندي من مشاة البحرية الرضوخ له، وهو رجل لا يحمل وسامين من سلاح البحرية وإنما يحمل أيضاً وسام الشرف من الكونغرس ووسام جوقة الشرف.

منح وسام الشرف لدوره الشجاع في إنقاذ أناس أثناء الزلزال الذي دمر طوكيو سنة 1923، حين أرسلته البحرية لتعلم اللغة اليابانية. فقد نقل الكثير من الضحايا إلى بر الأمان، بمن فيهم شابة انتزعها من حوض استحمام في فندق شبَّت فيه النيران.

ظن بعض الناس أن قادة البحرية قد اختاروا رايان ليتولى الادعاء في هذه القضية بسبب أوسمته الكثيرة التي يفترض أن تضفي على الادعاء أكبر قدر ممكن من المصداقية. وكان رايان ممتناً لثقتهم به. ولكن من الواضح أنه لا يمكنه الاعتماد على رجال طاقم مكڤاي للشهادة حسبما كان يرغب. إذن على من يستطيع الاعتماد؟ ربما على الرجل الذي أغرق السفينة. اعترف مكڤاي بأن سفينته لم تكن تتعرج؛ يمكن للقائد الياباني تأكيد هذا «الخطأ الفادح» الذي جعل من الطراد إنديانابولس هدفاً سهلاً. قد يكون وجوده المثير المفتاح لإدانة مكڤاي، إذ لن يكون لدى ضابط ياباني سبب في حماية قائد أمريكي، ولعله يخشى أن يغضب سلطات الادعاء على أية حال.

وافق رؤساء رايان على أنه يمكن للرجل أن يكون شاهداً نافعاً. وعلى الرغم من احتمال اعتراض مكڤاي ومحاميه والصحافة على أن يعتلي ضابط ياباني منصة الشهادة في محاكمة عسكرية لضابط أمريكي، يمكن أن يشرح رايان أن الرجل لن يشهد ضد القبطان، وإنما سيؤكد بعض الحقائق الهامة ليس إلاَّ. وحين تكون الرهانات مرتفعة على هذا النحو، تكون أية مغامرة تقريباً جديرة بالمجازفة على ما يبدو.

وبالتالي أرسلت رسالة عاجلة من مكتب الأميرال كنغ إلى مقر قيادة البحرية الأمريكية في طوكيو تقول: اعثروا على قائد الغواصة التي أغرقت الطراد إنديانابولس وأحضروه إلى واشنطن على الفور!

رغم انقضاء ثلاثة أشهر على نهاية الحرب، كان القائد هاشيموتو لا يزال مسؤولاً عن الغواصة 58 - I. وأخيراً أخذ الغواصة الآن من كيوره حيث كانت راسية، إلى ساسيبو Sasebo من أجل نقلها للأمريكيين. وحيث إن منزله المدمر جزئياً في كيوره كان لا يزال صالحاً للسكن، كان حتى الآن ينام ويأكل في منزله بينما يقضي طيلة النهار على متن الغواصة التي جعل منها مكتباً له.

وكان الكثير من رجال هاشيموتو، بمن فيهم توشيو تاناكا وهيروكوتو تاناكا، يعيشون على متن الغواصة، إما لأن منازلهم قد دمرت أو لوجود حاجة لهم لمساعدة القائد في إعداد العديد من التقارير من أجل المفتشين البحريين الأمريكيين الذين أرادوا معرفة جميع التفاصيل عن تكوين ومهمات أسطول الغواصات الياباني. وأخيراً، انتهى إعداد التقارير وحان الوقت لأخذ إجازة من السفينة التي اعتبرها هاشيموتو ورجاله رمزاً للبقية الباقية من مجد ضائع.

سرد هاشيموتو الأحداث في تقاريره بكل أمانة رغم خشية الكثير من أصدقائه من أن يتهم هو وربما آخرون بارتكاب جرائم حرب إذا كشف، حسب التعليمات الصادرة إليه، عن أية غواصة هاجمت أي هدف.

هراء! هكذا أجاب هاشيموتو رغم تساؤله في قرارة نفسه عن احتمال أن يكون أصدقاؤه على حق. يعتبر إغراق سفينة للعدو إجراءً حربياً عادياً. وكان الأمريكيون الذين اجتمع بهم رجالاً معقولين، ولن يعتبروا هذا العمل جريمة حرب، حتى إنه أخبرهم كيف أغرق سفينة قتالية من نوع آيداهو. لماذا ينبغي له إخفاء هذه المعلومات؟ كان فخوراً بما أنجزه ـ وإن ظل الشك يساوره في قرارة ذهنه. هل يحتمل أن تكون «السفينة القتالية» قد هربت؟

أدرك الأمريكيون الآن أنه قد أغرق سفينة بالفعل ولكن كانت «السفينة القتالية» في واقع الأمر طراداً ـ إندياناپولس. لذلك، حين صدر الأمر إلى النقيب هنري سميث ـ هاتون Henry Smith - Hutton، وهو ضابط استخبارات في طوكيو، بالعثور على قائد الغواصة الغامضة اتصل بالعميد البحري ناكامورا Nakamura، الضابط الياباني المكلف بنزع السلاح البحري، وأبلغه الأمر: اعثروا على هاشيموتو.

ذعر ناكامورا. هل ستوجه إلى هاشيموتو تهمة ارتكاب جرائم حرب؟

أجاب سميث ـ هاتون: «كلا. سيكون مجرد شاهد في محاكمة عسكرية لضابط في البحرية الأمريكية».

لم يصدق ناكامورا أن يستدعى ياباني للإدلاء بشهادته في محاكمة أحد ضباط العدو. ومع ذلك سرعان ما عثر على هاشيموتو في

ساسيبو حيث كان يجري ترتيبات لنقل غواصته إلى الأمريكيين. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، 27 تشرين الثاني / نوفمبر، كان قائد الغواصة 58 - I، يقرأ برقية الأميرال: «استعد للقيام برحلة إلى واشنطن لتمثل كشاهد في محاكمة عسكرية. غادر إلى طوكيو على عجل ومعك جميع التقارير عن المعركة».

ارتبك هاشيموتو. هل هذه خدعة؟ هل سيكون شاهداً حقاً ـ أم متهماً؟ وضع ثقته في الآلهة. أسند إلى توشيو تاناكا المسؤولية عن الغواصة وعاد إلى منزله في كيوره حيث حزمت زوجته بصمت ما كان لديه من بضعة قمصان بيضاء وهي تتساءل إن كانت ستراه مرة أخرى. ثم ذهب إلى كيوتو لرؤية والديه قبل مواصلة سفره إلى طوكيو.

وصل إلى طوكيو بعد ثلاثة أيام. وأثناء تلك الفترة كان ناكامورا وغيره من المسؤولين اليابانيين في العاصمة في حالة من الاهتياج الشديد.

قال له ناكامورا: «اعتقدنا أنك هربت. هل تريد أن تسبب متاعب لنا جميعاً؟».

اعتذر هاشيموتو، وسأل عن سبب إرساله إلى الولايات المتحدة بصفة شاهد.

قيل له إن ذلك بسبب إغراقه طراداً يدعى إنديانابولس الذي يحاكم قبطانه أمام محكمة عسكرية. إنديانابولس؟ لم يسمع هاشيموتو بهذا الاسم قط. إذن لم تكن سفينة قتال على أيّة حال. حسناً، تأكد

الآن على الأقل أنه لم يخض حرب بدون إغراق سفينة واحدة. كما أن إغراق طراد ليس بالأمر السيِّيء على أية حال.

رغم كل الاستعجال الذي واجهه، أمضى هاشيموتو في طوكيو ثلاثة أيام أخرى ريثما رتب الأمريكيون له رحلة جوية؛ وأخيراً، صعد على متن طائرة من طراز C - 54 برفقة ضابط أمريكي. كان ذلك بعد منتصف الليل في 7 كانون الأول / ديسمبر. وقبل أربع سنوات من ذلك التاريخ على وجه التحديد، كان قد انطلق في رحلة أخرى إلى أمريكا ـ بصفته «غازياً» فخوراً؛ والآن يقوم بنفس الرحلة بصفته «أسيراً» ذليلاً. تمنى لو أمكنه فهم منطق الآلهة.

في 3 كانون الأول / ديسمبر، استيقظ الكابتن مكڤاي في شقته صبيحة يوم بارد وغائم ولا بد أنه تساءل عن منطق إلهه. لقد حل أخيراً اليوم الذي تمنى تجنبه يوماً ما من خلال موت سريع وبطولي. ستبدأ محاكمته اليوم وسيأتي الموت ببطء.

ولكن كان مكڤاي أكثر قلقاً على لويز، إذ يعرف أنها كانت متألمة بقدر عمق تألمه بسبب الأحداث المأساوية التي سممت حياتهما. عندما غادر سان فرانسيسكو في الرحلة المشؤومة، تخيل عودته ليتقاسم معها مستقبل أميرال يزخر بالبهجة والمستقبل الواعد. ولكن حتى وإن برئت ساحته الآن، لن يكون كل شيء على حاله. وتتمثل الحقيقة القاسية في أن معظم رجاله قد ماتوا على متن سفينة كانت تحت إمرته؛ حتى وإن توقف ورود الرسائل اليائسة وتوقفت المكالمات الهاتفية الهستيرية، ستظل وجوه رجاله تومض في ذهنه

إلى الأبد لتذكيره بأنه يجب ألاَّ ينعم بالطمأنينة أبداً مرة أخرى.

ومما زاد في بؤسه رؤيته والده المتمرس في الحرب وهو يبكي. ولم يتمكن الأميرال حتى تحمل المجيء إلى المحكمة. وكان ألم الوالد النفسي أشد بكثير، إذ إن المحاكمة ستجري في حوض بناء السفن التابع للبحرية في واشنطن الذي كان يوماً ما تحت إمرته. كما لن يحضر ابنا الكابتن لمؤاساة والدهما. كان تشارلز الرابع يدرس في ستانفورد Stan Ford (بعد أن عوض عن سجله الضعيف في المرحلة الثانوية) بينما لا يزال كيمو في الجيش، يخدم في هاواي.

عمدت لويز إلى أن تكون سترة زوجها الزرقاء مكوية بإتقان وأن يكون حذاؤه لماعاً تماماً. يجب أن يوضح للعالم أنه شخص كامل فخور وأنه رجل لا يمكنه أن يرتكب إهمالاً من النوع المتهم به. كان شاحب اللون ولكنه رابط الجأش. غادر مكڤاي شقته برفقة لويز عند حوالى الساعة 9,30 صباحاً واستقلاّ سيارة أجرة نقلتهما عبر المدينة إلى ساحة حوض السفن التابع للبحرية في واشنطن أمام المبنى 57، وهو مكان المحاكمة.

تكون المحاكمات العسكرية عادة سرية ولكن لم تكن هذه المحاكمة كذلك، إذ يجب أن يعرف العالم أن الجاني المسؤول عن مأساة إنديانابولس سينال عقابه إذا ثبتت إدانته. احتل نحو ربع مقاعد المتفرجين في قاعة المحكمة المؤقتة أناس فضوليون ستتاح لهم فرصة نادرة لرؤية ضابط عسكري يتعرض للإذلال. شغلت لويز مقعداً في المقدمة، وتوجه مكڤاي إلى طاولة الدفاع حيث جلس متوتراً وهو

يلهو بخاتمه المدرسي بينما كان يتحادث مع كبير محاميه، الكابتن جون بي. كيدي John P. Cady، وهو رجل مديد القامة متجانس ذو عينين غريبتين وابتسامة لطيفة.

في واقع الأمر، كانت ابتسامة كيدي الآن متكلفة نوعاً ما، إذ لم يكن مسروراً بهذه المهمة. لم يُسأل ما إذا كان يريد هذه القضية بل أمر بتوليها لأنه حدث أن كان متوفراً. تخرج من أنابولس ونال إجازة في القانون من جامعة جورج واشنطن في سنة 1932، ولكنه فشل في امتحان الانضمام إلى نقابة المحامين، إذ كان منشغلاً جداً في مهمة بحرية لدرجة أنه لم يستطع التحضير جدياً للامتحان. وبعد أن أصبح الآن ضابط ركن يعمل في واشنطن، وجد أنه لا يريد حقاً أن يصبح محامياً، وبالتأكيد ليس في هذه القضية التي ستضعه وتضع مؤهلاته القانونية المتواضعة محط أنظار الجمهور.

ومع ذلك، شعرت البحرية على ما يبدو أنه إذا احتاجت إدانة مكڤاي إلى محام لامع وطموح مثل النقيب رايان، فإن تعيين خريج قانون متردّد مثل النقيب كيدي الذي لا يملك سوى ما يكفي من التدريب القانوني ليكون محامياً، كان خياراً مقبولاً للدفاع عن مكڤاي. ولم يعترض المتهم نفسه على كيدي، إذ فكر بأنه يمكن لأي محام تقريباً عرض وقائع القضية، وهي وقائع جلية بما فيه الكفاية. وعلى أية حال، تتصرف البحرية ليس استناداً لما تعتبره يخدم أفضل مصالحها. تعين على مكڤاي أن يوافق، كرجل بحرية تقليدي، على أن هذه المصالح أهم بكثير من مصالح أي فرد.

وحالما امتلأت المحكمة، وقف كيدي، وهو مدخن بلا انقطاع، وأطفأ سيجارته واعترض على المحاكمة بشعور مقصود من الأنفة. جادل بشراسة بأن اتهام مكڤاي بعدم إصدار أمر بسلوك مسار متعرج إنما هو مجرد استنتاج وليس جرماً.

ردت المحكمة برفض الحجة وقالت إن التهم كانت حسب الأصول.

ثم طلب كيدي مزيداً من الوقت «لكي يهيىء القضية للدفاع» ورفعت الجلسة حتى اليوم التالي. أحسّ مكڤاي بارتياح. يوم إضافي ليفيق من صدمة الإدراك النهائي بأن كل شيء اعتز به في الحياة بات في يد القدر؛ يوم إضافي ليهيىء نفسه لعقوبة علم أنها ستكون غير عادلة، رغم أنه يستحقها نوعاً ما.

في اليوم التالي، جاء مكڤاي إلى المحكمة مرة أخرى وكان أقل شحوباً وربما أكثر ثقة بقليل لأن التعرض للمحاكمة في اليوم الأول أثبت بغرابة أنه أقل رهبة من ترقبها. وبدا أن الرجال الذين يتهمونه كانوا خائفين ومستهدفين بنفس القدر تقريباً لأنهم إذا خسروا، لن يستطيعوا حتى مؤاساة أنفسهم بالفكرة القائلة إن الهزيمة قد تساعد بالفعل في تطهير أرواحهم.

واجه مكڤاي القضاة السبعة وادعى البراءة من كل التهم. ثم استدعي شاهد الادعاء الأول ـ الملازم والدرون الذي أعطى الكابتن مكڤاي تعليمات المسار في غوام وكان قد وصل منها لتوه جواً.

رايان: هل تم بحث مسألة التعرج مع مكڤاي؟

والدرون: جرى بحثه مع الملاح [الرائد جاني] وتمت الإشارة إلى أنه ينبغي للسفينة التعرج وفقاً لما يرتئيه الضابط الآمر.

وبدأ محامي الدفاع في استجواب الشاهد.

كيدي: ماذا كان ردك على طلب الكابتن مكڤاي بسفينة مرافقة من مكتب النقيب ناكوين؟

والدرون: كان الرد «لا يحتاج الطراد إنديانابولس إلى مرافقة».

كيدي: هل كانت الاحتكاكات بسفن العدو موضحة في تقارير الاستخبارات حسبما وردت... أكثر عدداً أو عادية تقريباً؟

والدرون: كانت عادية تقريباً؛ بمعدل ثلاثة أو أربعة احتكاكات أسبوعياً.

كيدي: هل بينوا لك أي نشاط مفرط لغواصات العدو؟

والدرون: كلا، سيدي، لم يبينوا.

كيدي: افترض حين ناقشت الأمر مع الكابتن مكڤاي أن تحديد مسار الرحلة من غوام وفقاً لتعليماتك كانت في رأيك حالة عادية وروتينية تماماً.

والدرون: كانت روتينية في ذلك الوقت.

كان مكڤاي مسروراً، فقد أكد ادعاءه شاهد الادعاء الأول: فقد حُمل على الاعتقاد بأن الرحلة المميتة ستكون روتينية تماماً وأن الأخطار لن تكون كبيرة مما برّر إلى حد كبير قراره بعدم التعرج.

ثم أدى الملازم ماكيسيك اليمين. لقد توجه إلى بيته جواً على متن نفس الطائرة التي أنزلت مكڤاي في هاواي وقد شفي منذ ذلك الوقت من جنونه.

رايان: بصفتك ضابط سدة القبطان في ليلة الغرق، هل تلقيت أية أوامر حين كنت تقوم بالخفارة؟

ماكيسيك: نعم، سيدي. تلقيت أوامر من الكابتن في الجزء الأخير من خفارتي تقول إننا سنتوقف عن التعرج ونستأنف المسار الأساسي عند نهاية الشفق المسائي.

الآن استجوب كيدي الشاهد.

كيدي: هل اعترضت على أوامر... التوقف عن التعرج عندما صدرت إليك؟

ماكيسيك: كلا، سيدي. لم أعترض على الأوامر... لم أشعر أن الأمر كان غير عادي... لدى انتهاء خفارتي، لم يكن هناك قمر. وكانت الرؤية

ضعيفة. كانت ليلة ظلماء حالكة. وكان يتعذر أحياناً التعرف على الرجال الواقفين على مسافة خمسة إلى عشرة أقدام منك، [ولكن] كانت الرؤية أفضل في أوقات أخرى.

كيدي: هل كان التوقف عن التعرج بعد الشفق المسائي أمراً اعتيادياً على متن السفينة؟

ماكيسيك: حسناً، نعم سيدي، كان أمراً اعتيادياً إذا كانت الرؤية ضعيفة. . . ؛ لقد فعلنا ذلك طيلة فترة الحرب.

كيدي: هل تستطيع أن تشهد إذا كانت الأوامر الدائمة تتضمن أو لا تتضمن أية تعليمات إلى الضابط المتواجد في سدة القبطان بإبلاغ القبطان إذا طرأ أي تبدل في الأحوال الجوية، أو في الرؤية، وما إلى ذلك؟

ماكيسيك: أستطيع أن أشهد جازماً أن تلك التعليمات كانت موجودة في الأوامر الليلية الدائمة. . . لم أكن لأتردّد في إبلاغ القبطان في حال حدوث شيء من هذا القبيل. . . هكذا هي عادتي.

غير أن ماكيسيك لم يشاهد في تلك الليلة أي شيء مهم يجدر إبلاغه للقبطان. كما لم يلاحظ أي تبدل في الأحوال الجوية أو أي

خطر في رؤية غواصة للعدو على مسافة مئتي ميل تقريباً، حسبما ورد في البرقيات التي شاهدها أثناء خفارته.

ماكيسيك (متابعاً): طيلة فترة الحرب تلقينا رسائل بنفس المعنى. حين تكون أية غواصة على مسافة بعيدة، لم تكن نشعر بالذعر بلا مبرّر نتيجة تقرير كهذا.

كيدي: هل سمعت صدور أمر بإخلاء السفينة؟

ماكيسيك: كلا، لم أسمع.

كيدي: هل يعني هذا أن أمراً كهذا لم يصدر؟

ماكيسيك: كلا، سيدي. يمكن أن يكون قد صدر مثل هذا الأمر بالتأكيد ولم أسمعه. [وعلى أية حال، كان لدى الرجال] متسع من الوقت للصعود إلى سطح السفينة والاستعداد لإخلائها.

ابتهج وجه مكڤاي. شاهد جيد آخر.

حين استدعي الملازم ردمين للشهادة، كانت لا تزال عيناه تعكسان علامات الرعب الذي كثيراً ما استحوذ عليه أثناء نومه.

رايان: كيف كان الطقس في ليلة 29 تموز / يوليو؟

ردمين: كان نور القمر متقطعاً وكانت الرؤية حسنة حين لم تكن الغيوم أمام القمر، وكانت سيئة حين كانت الغيوم أمام القمر.

تدخَّل كيدي لاستجواب الشاهد.

كيدي: هل بدا لك أنه كان ينبغي لكم التعرُّج؟

ردمين: كلا، سيدي.

كيدي: هل شعرت بالقلق حين أبلغك الرائد جاني مع غيرك من الضباط أن فريق اصطياد وقتل كان يبحث عن غواصة؟

ردمين: كلا. لم أكن قلقاً بشأن ذلك على نحو خاص.

بدا الملازم مهتاجاً جراء حدة الأسئلة. سئل عن قاعة المحركات ولماذا غادرها. يبدو أن رايان أراد أن يعرف في محاولة منه لتوضيح أن مكفاي لم يبذل جهداً قوياً بما فيه الكفاية للاتصال بردمين ـ ولربما كان يسعى إلى الحط من قيمة شاهده لإعطائه إجابات لا تساعد في قضيته.

ردمين: غادرت قاعة المحركات لأنه لم يكن لدينا اتصالاً مع سدة القبطان، ولم أعرف ماذا كان يريد القبطان فعله بشأن المحركات.

استمر المدعي العام في توجيه أسئلته بلا هوادة.

رايان: هل كانت الأوضاع في قاعة المحركات لدى مغادرتك إياها يائسة بدرجة كبيرة، بالنسبة إليك، استناداً إلى مبادرتك الذاتية، بحيث تخبر رجالك بإخلاء مصدر الطاقة الوحيد المتبقي على تلك السفينة؟

ردمين: لم أعتبر الأوضاع سيئة لدرجة أن تستدعي إخلاء قاعة المحركات. واستمر الكابوس حتى في النهار.

كان الطبيب هينز شاهداً أكثر استرخاءً.

رايان: هل سمعت أو تلقيت أية أوامر بشأن «إخلاء السفينة» تصدر عادة من القبطان أو من الضابط المناوب في سدة القبطان؟

هينز: كلا. لم أسمع ولم أتلق أية أوامر.

استجواب الشاهد.

كيدي: هل يمكن أن تكون الكلمة قد صدرت للاستعداد لإخلاء السفينة دون أن تسمعها؟

هينز: أجل. هذا ممكن.

استذكر هينز كيف أن الرائد جاني قد علق «مازحاً» على مائدة العشاء بقوله «إننا سوف نصادف غواصة أثناء الليل... كانت المحادثة المرحة العادية السائدة حول المائدة في غرفة الجلوس».

كيدي: كيف كانت أحوال الرؤية!

هينز: لم ألاحظ. أعتقد أن الظلام كان حالكاً. أود أن

أقول إن الطراد إنديانابولس تحت إمرة مكڤاي كان سفينة قتالية رشيقة وذات كفاءة عالية، وسيشرفني ويسرني أن أخدم تحت إمرته مرة أخرى.

لعل الضابط بلوم كان أكثر الشهود براعة فقد ظل مصمماً على ألاَّ يقول سوى أقل ما يمكن خشية أن يجعل من نفسه كبش فداء نوعاً ما.

رايان: هل حدث شيء غير اعتيادي أثناء ليلة 29 ـ 30 تموز / يوليو 1945. وإذا حدث، ما هو هذا الشيء؟

بلوم: لقد غرقت السفينة.

رايان: هل تلقيت في أي وقت كلمة أو أوامر لإخلاء السفينة؟

بلوم: كلا.

ومن الملفت للنظر أن كيدي لم يسأله عن احتمال أن يكون الأمر قد صدر دون أن يسمع ـ ولم يكن بلوم يتطوع بأي شيء. كما لم يفلح كيدي في انتزاع حتى أعم المعلومات.

كيدي: هل شاهدت القمر من مركز عملك؟

بلوم: لا أذكر.

كيدي: هل شاهدت ضوء القمر؟

بلوم: لا أذكر ذلك.

كيدي: هل كان الجو غائماً؟

بلوم: لا أذكر ذلك.

ذكر كاتب المحكمة في تقريره:

«لم يشأ المدعي العام إعادة استجواب الشاهد».

«لم تشأ المحكمة استجواب الشاهد».

«قال الشاهد إن ليس لديه أي شيء آخر ليقوله».

«وُجّه تحذير إلى الشاهد حسب الأصول وانسحب الشاهد».

بدا أن قاعة المحكمة قد ضجت بصمت بتنهد جماعي. كيف أصبح رجل خال من أية ذاكرة على هذا النحو ضابطاً بحرياً؟ كان يمكن لبلوم أن يجيب: أعرف ماذا أنسى ومتى أصمت.

كانت ذاكرة غايلز ماكوي أفضل رغم أنه تمنى لو لم تكن كذلك. سيقول الحقيقة بينما يصور القبطان بأفضل مظهر ممكن. ومثلما توقع، كان الادعاء فاتراً إلى حد بعيد.

رايان: خلال هذه الفترة من الانفجارات وعند توجهك إلى حافة سطح السفينة هل سنحت لك فرصة ملاحظة الأحوال الجوية أو أحوال الرؤية؟

ماكوي: نعم، سيدي. أثناء ذهابي إلى الحافة، أظن أن الغيوم انقشعت عن وجه القمر وكان القمر مضيئاً.

وكان يعني ضمناً أن الرؤية لم تكن حسنة قبل ذهابه إلى الحافة.

يبدو أن رايان كان يستذكر في ذهنه اللقاء الذي سبق المحاكمة وبالتالي تفادي سؤال ماكوي ما إذا كان قد سمع أمراً بإخلاء السفينة أو ما إذا كان يحتمل أن يكون مثل هذا الأمر قد صدر.

غير أن كيدي أشار إلى هذه المسألة.

كيدي: هل سمعت صدور أية كلمة عبر الزنزانة تقول «ليصعد الجميع أعلى» أو كلمات بهذا المعنى؟

ماكوي: نعم، سيدي.

ولكن لم يعط فرصة لإضافة ما كان قد قاله أثناء اجتماعه مع رايان ـ إنه في خضم الفوضى السائدة آنذاك لم يكن بإمكانه أن يسمع «صوت بوق حتى لو نفخ في أُذني».

لقد أصبحت الذاكرة الآن مؤلمة على نحو خاص.

كيدي: هل كان معك أناس آخرون في الزنزانة؟

ماكوي: حسناً، نعم سيدي، كان هناك أشخاص نيام.

كيدي: هل لاحظت ما إذا كانوا لا يزالون هناك حين غادرت؟

ماكوي: نعم، سيدي، بدؤوا في تسلق السلم.

لم يضف ماكوي أن البعض منهم كانوا يعانون من إصابات في غاية الخطورة بحيث تعذر حملهم قبل أن تغلق الكوة.

لدى استجواب الضابط توايبل، لم تكن لديه أية شكوك بشأن الأحوال الجوية.

توايبل: عندما ذهبت للخفارة، كان الجو منيراً تماماً، ولكن في وقت لاحق في المساء، أصبح مظلماً لدرجة أنني اضطررت إلى أن أطلب من ضابط المدفعية إعلامي ما إذا كان يوجد رجل على الساتر ينظر إلى البحر؛ و... عندما حان الوقت ليحل رجل آخر مكاني ولم يحضر ذلك الرجل، نظرت باتجاه سطح مؤخرة السفينة ولاحظت... أشكالاً هناك، ولكن لم أستطع أن أميز ما إذا كان يوجد رجل واحد أو رجلان.

كيدي: هل شاهدت أي قمر في تلك الليلة من خفارتك؟

توايبل: لا يمكنني أن أتذكَّر أنني شاهدت القمر... حدث انقشاع في الغيوم لأنني أستطيع أن أتذكَّر جازماً رؤية القمر بعد أن أصبحت في الماء ولكن يمكنني القول إن السماء كانت ملبَّدة بالغيوم.

كيدي: هل أمكنك رؤية الأفق؟

توايبل: كلا، لم يكن بإمكاني.

كما لم يسمع توايبل أية كلمة بشأن إخلاء السفينة ـ باستثناء كلمته هو. فقد نقل الكلمة بمبادرة ذاتية منه. ولكن إذا لم يسمع كثيرون

مكفاي يصدر الأمر بالإخلاء، فإن كوكسوين إدوارد كيز Coxswain Edward Keyes قد سمعه، وهو الرجل الذي أرسل إلى أسفل ليدعو جميع الرجال إلى الصعود إلى السطح العلوي.

كيدي: يا كينز، هل شاهدت القبطان، وهو يصدر الأمر بإخلاء السفينة؟

كيز: نعم...

قال كيز إنه بعد عودته من الأسفل إلى سدة ربان السفينة «صاح القبطان آمراً الرجال بإخلاء السفينة».

وعندما أدَّى النقيب ناكوين اليمين، استهدفه محامي الدفاع.

كيدي: لماذا أبحر الطراد إنديانابولس من غوام دون مرافقة؟

لم تتح لناكوين فرصة للإجابة فقد اعترض رايان على هذا النوع من الاستجواب بحجة أن هذه الشهادة غير مقبولة وغير موضوعية وغير جوهرية وليست وثيقة الصلة بالمسائل في هذه القضية. وبمعنى آخر، بدا أن إصبع الاتهام قد يوجه ليس إلى مكفاي وإنما إلى قادة يستغنى عنهم بدرجة أقل.

قضت المحكمة بقبول الاعتراض.

وبالتالي اضطر الدفاع إلى انتهاج مسلك مختلف.

كيدي: ماذا كان تقديرك لخطر نشاط لغواصات العدو على طول مسار بدي؟

ناكوين: أقول إن الخطر كان ضئيلاً وطفيفاً. كانت هناك بالفعل عشرات [التقارير]، ولكن كان نشاط الغواصات الفعلي ضدنا في مستوى منخفض جداً.

كيدي: هل تبادر إلى ذهنك في أي وقت تحويل مسار السفينة إندياناپولس بعد إبحارها؟

ناكوين: كلا.

بعد ذلك، سأل رايان النقيب غرانوم عن خطر الغواصات.

غرانوم: لم يكن هناك أكثر من الخطر الاعتيادي الذي يمكن توقعه في زمن الحرب.

خطا محامي الدفاع بحذر في استجواب الشاهد.

كيدي: هل كان هناك أي تأكيد فعلي بوجود غواصة للعدو في حدود بحر الفلبين قرابة هذا الوقت على طول مسار بدي؟

غرانوم: كلا، ليس في هذه المنطقة.

طرح سؤال عما إذا كان التعرُّج ضرورياً لتفادي قذائف طوربيد العدو. استدعى كيدي إلى المنصة النقيب غليان روبرت دوناهو Glyan Robert Donaho، وهو قائد غواصة مخضرم أغرق أو أعطب ثمان وعشرين سفينة من سفن العدو أثناء الحرب.

كيدي: بناءً على خبرتك، ما رأيك في جدوى تعرُّج هدف بحيث يؤثر على دقة نيران الطوربيد؟

دوناهو: مع وجود غواصاتنا الحديثة ومعدات السيطرة على الحريق، والطوربيدات العالية السرعة، ووجود فريق سيطرة جيِّد للتدريب ومدى الطوربيدات، لا أجد أن التعرُّج يؤثر على النتائج.

استاء رايان من هذه الإجابة. ولدى استجواب الشاهد، انتقل دون هوادة من سؤال إلى آخر.

رايان: الآن، لنفترض أن هدفاً ما كان يبحر بسرعة 17 عقدة [ويغير مساره بمقدار 45 درجة] وشعرت أنه لا يمكنك الصعود إلى السطح والقيام بالمطاردة، متى في اعتقادك ستتاح لك فرصة أخرى لإطلاق النار على هذا الهدف؟

دوناهو: يحتاج الأمر إلى خمس ثوان من أجل المشاهدة، وحوالى خمس ثوانٍ ليصبح التكامل فاعلاً ويمكنني أن أطلق النار في غضون عشر ثوان.

رايان: الآن... افترضنا أن هذا الهدف حوَّل مساره بمقدار 45 درجة. لنفترض أن ذلك الهدف كان بعيداً عنك، هل يحتمل أن يصيب الطوربيد الهدف بنفس المقدار فيما لو لم تستدر السفينة؟

دوناهو: نعم، سيدي.

امتعض النقيب رايان بكل وضوح. سيقوم بمحاولة أخيرة لزعزعة شهادة شاهده.

رايان: هل أستطيع أن أستخلص استنتاجاً معقولاً مما قلته لتوِّك بأن التعرج كإجراء ضد الغواصات لا قيمة له للسفن السطحية؟

دوناهو: على العكس، تتوقع دائماً من هدف أن يتعرَّج وتترقب ماذا سيحدث في المرحلة التالية.

جلس رايان متسائلاً على ما يبدو لماذا طرح ذلك السؤال الأخير. ولكنه بدا مرتاحاً حين حصل على مساعدة من كيدي. وتماماً مثلما بدا أن الدفاع قد حصل على رفدة هائلة، طرح كيدي سؤالاً يتعذر تفسيره وتمنى بلا شك فيما بعد ألاَّ يكون قد طرحه.

كيدي: هل يقلقك كقائد غواصة أن تجعل سفينة أو هدفاً يتعرج؟

دوناهو: أجل، إذ قبل الإطلاق مباشرة، يضلل التعرج حساباتك ويتعين عليك الحصول على ترتيب جديد.

ولكن رغم أن دوناهو بدا وكأنه يناقض نفسه بشأن هذه النقطة، أوضح أن التعرج لم يكن ليحول دون تحقيق إصابة.

كان الكابتن مكڤاي لا يزال يشك في أن يكون لشهادة أي كان

تأثير قاطع على ضباط المحكمة، لكنه، رغم ذلك أفرز ثقة متجددة حينما استدعي للشهادة.

كيدي: هل أصدرت تعليمات إلى الضابط المناوب في سدة القبطان بشأن التعرُّج قبل أن تأوي إلى فراشك؟

مكفاي: كلا لم أفعل في ظل الأحوال السائدة آنذاك، لم أعتقد بضرورة التعرج. كانت الرؤية ضعيفة. ولم يكن هناك قمر... وكانت الأوامر الدائمة التي في حوزتي تتضمن الظروف التي بموجبها ينبغي للسفينة أن تتعرج، رغم أنني على وجه التحديد لا يتوجب عليَّ البدء في التعرج حين... تكون الرؤية حسنة. [على أية حال]. لم أحصل [في غوام] على أي انطباع بوجود حالات غير عادية في المنطقة... اعتبرت المشرف على سدة القبطان والضابط الموجود معه في تلك الليلة ضابطين كفوْءَين وأعتقد أنه لو كانت الظروف تتطلب منهما التعرج، لكانا قد قاما بذلك وأبلغاني.

كيدي: إذن، فإن مبدأك كما هو موضح في الأوامر الليلية الدائمة قد أثبت فاعليته؟ أليس كذلك؟

مكفاي: هذا صحيح.

كيدي: هل استطعت رؤية أي ضرر من سدة القبطان.

مكڤاي: لم أستطع رؤية أي ضرر البتة. كانت الظلمة حالكة... لم أعرف طبيعة الأضرار إلى أن أخبرني بها الضابط التنفيذي.

كيدي: هل شاهدت أي ضوء للقمر بعد الانفجار؟

مكڤاي: كلا، سيدي، لم أشاهد. في الحقيقة، كان الظلام حالكاً في سدة القبطان بحيث لم أستطع التعرف على أي كان.

كيدي: متى شاهدت القمر؟

مكڤاي: في وقت لاحق من ذلك الصباح، بعد أن أمضيت في الماء ساعة واحدة أو نحو ذلك. ويبدو أن القمر قد لاح [من] وراء الغيوم.

تحوَّل التركيز الآن على التهمة الثانية الموجهة ضد مكڤاي. بدأ الادعاء في الاستجواب:

رايان: هل أمرت شخصياً بتعميم عبارة «إلى جميع الرجال، اخلوا السفينة؟».

مكڤاي: أخبرت ضابط سدة السفينة بتمرير عبارة «إلى جميع الرجال، اخلوا السفينة»، أخبرته شخصياً بذلك.

رايان: هل تعرف ما هي الوسيلة التي استخدمها لتنفيذ أوامرك؟

مكڤاي: لم تكن لديه أية وسيلة سوى النطق بها شفوياً. بما أن نظام مكبرات الصوت قد تعطل وكذلك جميع أشكال الاتصالات، كان من المتعذر في رأيي، إيصال العبارة إلى كل جزء من السفينة... في الوقت القصير المتاح.

بكل بساطة، غرقت السفينة إنديانابولس بسرعة فائقة.

«أين هي إنديانابولس؟».

كان موشتسورا هاشيموتو شاهد المحاكمة الرئيسي قد وصل إلى مطار أوكلاند Oakland في طريقه إلى واشنطن. وطلب من حارسه أن يشير إلى المدينة على خارطة جدارية للولايات المتحدة. كان لا يزال ينعم بمعرفة أنه أغرق حتماً طراداً بهذا الاسم.

وضع الحارس إصبعه على الخارطة وأجاب: «هذه هي إنديانابولس. أليس هذا هو اسم السفينة التي أغرقتها؟ كم عدد الإصابات التي حققتها؟

قال هاشيموتو متباهياً: «ثلاث إصابات».

ولكنه أخذ يتساءل الآن إذا كان من المحتمل أن يؤدي ذلك الهجوم المجيد إلى موته المخزي. صحيح أن العدو قد عامله معاملة إنسانية حتى الآن، وفي الواقع كرفيق تقريباً. أثناء الرحلة، تباهى

مرافقه الأمريكي الذي يتكلم اليابانية، وهو ملازم في البحرية، بإظهار قدرته على كتابة اسمه باللغة اليابانية، كما دعاه أفراد الطاقم إلى قمرة القيادة وأوضحوا له كيفية تشغيل الطائرة واصطحبته فتاة بالسيارة مع مرافقه في جولة في سان فرانسيسكو، حتى إن البحرية الأمريكية أعطته مئة دولار لشراء هدايا لعائلته. أمر لا يصدق تماماً مثل خطة إحضاره إلى واشنطن للإدلاء بشهادته لصالح الادعاء في محاكمة قائد أمريكي غرقت سفينته على يديه. ظل يتساءل عن احتمال وجود خدعة ما.

كان القائد الأمريكي مكڤاي ميالاً إلى الشك حين علم بإحضار هاشيموتو من اليابان. إذ كيف يمكن لعدو مسؤول عن قتل عدد كبير من رجاله أن يشهد «ضده»؟ أحس مكڤاي بأن الادعاء يذله ليس هو فحسب وإنما أيضاً البحرية الأمريكية والأمة قاطبة. وحين أعلن النبأ في 8 كانون الأول / ديسمبر، قبيل هبوط طائرة هاشيموتو في أوكلاند، اتفق العديد من محرّري افتتاحيات الصحف وأعضاء الكونغرس مع إحساس مكڤاي. وأخذت الصحف تكشف يوماً بعد يوم عما ارتكبه اليابانيون في أثناء الحرب من أعمال وحشية، وجنباً إلى جنب مع هذه القصص نبأ آخر يقول: «يُعْطَىٰ ضابط ياباني» فرصة «لتشويه سمعة» ضابط أمريكي.

بحلول الوقت الذي وصل هاشيموتو إلى واشنطن، كانت الحُمَّىٰ الشعبية قد بلغت حداً مرتفعاً لدرجة أنه كان هناك خوف حقيقي من أن تكون حياته معرضة للخطر. ووسط وميض آلات التصوير، اخترق

هاشيموتو وحراسه طريقهم عبر رهط من الصحفيين الذين أمطروه بوابل من الأسئلة. لماذا فضل الجنود اليابانيون الانتحار على الأسر؟ هل يعبد اليابانيون الإمبراطور مثلما يعبد الأمريكيون الله؟ انتاب هاشيموتو الذهول إذ لم يحدث قط أن فكر كثيراً في أمور كهذه. وجرى نقله عملياً من هذا المكان الذي يسوده الهرج والمرج إلى سيارة منتظرة في الخارج نقلته سريعاً إلى فندق محاط بحراسة جيدة.

وفي اليوم التالي، نقل هاشيموتو إلى ساحة البحرية في واشنطن حيث وجد نفسه معزولاً في الطابق الثالث من مهجع الضابط العزاب. أكد له أحد الضباط أنه لم يكن يعتبر لا مجرم حرب ولا أسير حرب وإنما كانت هذه الحماية لصالحه، إذ إن العديد من العائلات الثكلى «لا تكنّ له شعوراً ودياً». فهم هاشيموتو لدرجة أنه كان ممتناً. علاوة على ذلك، كان ذلك في منتصف فصل الشتاء وبالتالي استمتع بحرارة البخار في غرفته، وهي رفاهية لم يستمتع بها في بلده.

قال الضابط: «سوف تعامل كضابط. هل لديك أية طلبات؟».

أجاب هاشيموتو: «حسناً. لم يكن لدي وقت كاف لأحزم أغراضي لهذه الرحلة. لذلك أود الحصول على بعض الملابس».

في غضون ساعات، بدت غرفته أشبه بمكان لبيع الخردوات وانتشرت على السرير قبعات وأحذية وقمصان وغير ذلك من الملابس. صعب على هاشيموتو تصديق ذلك، حتى إنهم لم يقدموا له فاتورة! لعله سيعيش لرؤية زوجته وأولاده مرة أخرى على أية حال.

في عصر ذلك اليوم، تحوَّل الخيال إلى حقيقة عندما اصطحب إلى المحكمة من أجل الاستجواب التمهيدي للبت في مصداقيته وأهليته القانونية. استفهم منه النقيب رايان وغيره من محامي الادعاء عن خلفيته والرؤية في ليلة الإغراق، وعن نوع قذائف الطوربيد التي استخدمها ووجهوا له أسئلة فنية أخرى. ثم ورد سؤال أشد خطورة: هل تعرجت السفينة إندياناپولس حين اقتربت منها؟

قال هاشيموتو من خلال مترجم أمريكي: «لم أشاهد أية حركة متعرجة جوهرية ولكن كانت هناك حركة صغيرة على ما يبدو. بما أن الوقت كان ليلاً، كان من الصعب الحكم بدقة».

خاب أمل رايان على ما يبدو. لماذا لا يستطيع الرجل مجرد القول إن السفينة لم تكن تتعرج! قد يشهد الآن أنه حتى لو تعرجت السفينة ما كان ذلك ليحدث أي فرق.

التقى هاشيموتو في اليوم التالي بالنقيب كيدي ومساعديه وطرحت عليه أسئلة مماثلة. ومن أجل توضيح إفادته عن الأحوال الجوية، رسم صورة توضح القمر والغيوم. قال إن الرؤية، حسبما ذكر في اجتماعه مع رايان، كانت «جيدة نسبياً» لمسافة عشرة آلاف متر تقريباً في اتجاه القمر. ولكنها لم تكن جيدة جداً في الاتجاهات الأخرى وكان يصعب عليه تمييز الأفق.

يبدو أن هذا الجوب قد أزعج رايان، إذ إنه لو «لم تكن الرؤية جيدة جداً» سوى باتجاه واحد، قد يشعر القضاة بأنه كان لدى مكڤاي

ما يبرره للتوقف عن التعرج. ولكن لعل الجواب نفسه كان سيقلق كيدي كذلك، لأن الرؤية كانت «جيدة نسبياً» باتجاه واحد، وهو الاتجاه الذي صادف أن كان الطراد إنديانابولس فيه.

كيدي: هل كان الهدف يتعرج؟

ومما يدعو للغرابة أن الجواب كان أكثر غموضاً من ذي قبل.

هاشيموتو: لست واضحاً بشأن هذا الأمر.

كيدي: هل سيكون الأمر مختلفاً بالنسبة إليك فيما لو كانت السفينة متعرجة أم لا؟

هاشيموتو: كلا. لا فرق البتة.

أخذ كيدي يتساءل لماذا اعترض على مثول الرجل أمام المحكمة.

وهكذا، بينما كان رايان يناقش ما إذا كان عليه أن يطلب من هاشيموتو الإدلاء بشهادته مهما كان الأمر، بدا أن كيدي كان على أتم الاستعداد لاستدعائه ـ رغم أنه من الحكمة تكتيكياً التظاهر بالامتعاض من مثول شخص أجنبي عدو بصفة شاهد «ضد» ضابط أمريكي. أخيراً، قرّر رايان المجازفة؛ ورغم كل الدعاية بشأن هاشيموتو، قد يكون الضرر الذي يلحق بالادعاء في حالة عدم مثوله أكبر مما لو مثل، حتى وإن أدلى بشهادة لا تساعد الادعاء. ويمكن لعدم مثوله أن يعتبر اعترافاً بأن الرجل أيد ادعاءات مكفاي.

وهكذا مَثُلَ هاشيموتو مرة أخرى أمام رايان الذي أراد الآن أن

ينتهي من شهادة الرجل بأسرع ما يمكن. لم يكن الادعاء يريد إعطاءه وقتاً على طاولة الشهود وهو يتصفح الوثائق.

نُصح هاشيموتو قائلاً: «حاول قدر الإمكان عدم النظر إلى وثائقك وأنت تتكلم. استظهر الأمور الهامة».

عاد هاشيموتو إلى غرفته واستظهر هذه الأمور، وشعر أن هذا هو أقل ما يمكنه فعله لأولئك الذين زودوه بالملابس مجاناً.

في صباح 13 كانون الأول / ديسمبر، اقتيد هاشيموتو إلى قاعة المحكمة مرة أخرى، وكان في هذه المرة نجم استعراض حقيقياً. دخل غرفة مجاورة ووجد نفسه جالساً إلى جانب عدد من البحارة الذين حيوه بنظرات فضولية، وعكس البعض منهم الصدمة وحتى الحقد.

كان هاشيموتو برفقة نقيب في مشاة البحرية مديد القامة مما جعل هاشيموتو يبدو قزماً أمامه. سأله هاشيموتو: «من هؤلاء الرجال؟».

أجابه المرافق: «إنهم الناجون من الطراد إندياناپولس». كانوا ينتظرون الإدلاء بشهاداتهم.

انتاب هاشيموتو «شعور غير مريح». يحتمل أنهم يريدون قتله تماماً مثلما أراد قتلهم عندما أطلق قذائف الطوربيد. أخذ يختلس النظر في وجوه هؤلاء الشبان ويفكر ملياً في سخرية الأقدار، إذ بعد أن أغرق سفينتهم، بحث عن ناجين لاستجوابهم ولكنه لم يستطع

العثور على أي منهم. وها هم الآن هنا ينتظرون استجوابهم ـ من قبل الأمريكيين.

وقف رايان داخل قاعة المحكمة التي عجت بأكثر من 150 شخصاً أتوا لرؤية هذه المجابهة الفريدة بين قائدين، وذكر أن شاهد الادعاء الثاني هو موشتسورا هاشيموتو، «أجنبي ياباني عدو».

اعترض كيدي على الفور. وقال: «إذا سمحت المحكمة، أود أن أقدم اعتراضاً رسمياً على فكرة استدعاء أحد ضباط عدو مهزوم الذي بوصفه أمة قد ثبت أنه مذنب بارتكاب كل غدر مقيت وأفظع الأعمال الوحشية وأشد الممارسات همجية منتهكاً بذلك جميع قوانين الحرب المتمدنة، وذلك ليشهد ضد أحد ضباطنا في مسألة تمس قدرته وتقديره المهنيين.

«أنا متأكد من أنني إذ أحتج على هذا المشهد، فإنني أعبر عن مشاعر كل مواطن أمريكي، وبخاصة أولئك الذين حاربوا مؤخراً ضد اليابانيين. إن هذا الاعتراض لا يستند ولا يمكن أن يستند إلى أية أسس قانونية، إذ لم يتصور مشرّعونا أبداً عبر قرون من القانون الإنكلو ـ ساكسوني إجراءات بمثل هذه البشاعة».

وإذ جلس كيدي، حصلت موجة من الانفعالات في القاعة المكتظة. رغم أن محامي الدفاع لا يمكنه أن يكون غير سعيد بما يتوقع أن يقوله هاشيموتو، سوف يستغل إلى أقصى حد «الخطأ الفاضح» الذي ارتكبه الادعاء في إحضاره من اليابان. رايان، من جهته، آملاً في أن يخفف من أثر كلمات كيدي، نهض سريعاً وقال

في رده: «إذا سمحت المحكمة، يأسف المدعي العام أشد الأسف أن يتم التشديد في المحكمة على هذه النواحي العاطفية لدى تقديم الشاهد. ليس في نية المدعي العام... أن يطلب من هذا الشاهد إعطاء أية آراء فيما يخص شرف المتهم في هذه القضية أو أفعاله.

«استدعي الشاهد للإدلاء بشهادة فيما يخص وقائع في حدود معرفته والتي هي، في اعتقادي، ضرورية للوصول إلى قرار في هذه المداولات. لا أنوي سؤال الشاهد أي شيء آخر عدا أين ومتى كان عند وقوع هذه الحادثة، وماذا رأى وماذا فعل وكيف فعل ما فعله».

توقف رايان وأنصت إلى الصمت الذي منحه أملاً ـ كان الحاضرون يولون انتباهاً ويزنون كلماته. واصل يقول: «بغية ضمان إجابات دقيقة على الأسئلة التي قد تطرح عليه، ننوي أن نطلب من المحكمة أن يؤدي اليمين وفقاً لقانوننا واليمين الذي سيلزمه في بلده والذي سيجعله عرضة للإدانة إذا... لم يقدم دليلاً صادقاً أمام هذه المحكمة.

«وكمسألة تدوينية... ثمة العديد من القضايا التي مثل فيها أفراد من قواتنا المسلحة أمام محاكم عسكرية وأدلى فيها أجانب أعداء بشهاداتهم أمام المحكمة».

ثم أورد رايان محاكمة عسكرية سابقة ليوضح أن الشهادة هي التي تهم بصرف النظر عمن يكون الشاهد. واقتبس ما يلي من نسخة سجلات وقائع المحاكمة:

«لم يقدم المدعي العام شاهدين هامين [لأنهما] كانتا عاهرتين سيئتي السمعة و. . . ستكون شهادتهما عديمة القيمة. . . أخطأ المدعي العام بعدم استدعاء هاتين الشاهدتين [إذ] حتى وإن كانتا عاهرتين سيئتي السمعة. . . لن يجعل هذا شهادتهما بالضرورة عديمة القيمة. ويعود للمحكمة وليس للمدعي العام البت في تصديق شهادة. . . جميع الشهود».

قاطع كيدي قائلاً: «في حال استدعاء هاشيموتو، سأقدم أيضاً احتجاجاً قانونياً استناداً إلى الأهلية لأن معتقد بلده ليس مسيحياً مما يؤثر في قدرته على أداء اليمين كشاهد ليقول الحقيقة. أعرض للمحكمة كيف يمكن، في ظل الظروف، فرض جزاءات وعقوبات شهادة الزور على شاهد كهذا، وهو أجنبي عدو تابع لدولة مهزومة، والذي لا مقام له في هذا البلد البتة؟ هناك أسئلة عديدة فيما يخص صدق اليابانيين كعرق، ويعود للمحكمة أن تقرّر كيف يمكن إلزامه بالقسم بقول الحقيقة أو التأكيد عليه بقولها».

أجاب رايان: «إذا سمحت المحكمة، إن كان هناك شك في كيفية إلزام الشاهد هاشيموتو بجزاءات وعقوبات شهادة الزور، وإذا كانت هناك بينة توضح أنه حنث في يمينه، لا شك لدي في أن السلطات البحرية ستسلم هذا الشاهد إلى السلطات المدنية المختصة ويمكن عندئذ أن تطبق عليه العقوبات التي تحكم بها المحكمة في هذا البلد، ومن ثم ينال العقوبة مرة أخرى في بلده».

أدرك كيدي بوضوح منذ البداية أنه لا يستطيع منع هاشيموتو من الشهادة حتى وإن رغب في ذلك، ولذلك تقدم قائلاً: «يبدو أن الإجراء الصحيح هو إحضار الشاهد المقترح وفحصه فيما يخص فهمه للحقيقة والبهتان ومعنى شهادة الزور وإيمانه في العقوبة الناجمة عن البهتان».

وافق القاضي ثم أعلن أنه بما أن هاشيموتو يؤمن بآلهة مجهولة بالنسبة إليهم، من الملائم أن يُعْطَىٰ القسم الأمريكي بدون عبارة «فليساعدني الله» وألاَّ يطلب منه سوى أن «يجزم» بقول الحقيقة بدلاً من أن «يقسم» بقول الحقيقة. وقضت المحكمة بأنه من الملائم أيضاً إعطاءه اليمين البحرية اليابانية كذلك.

نخر كيدي قائلاً: «لقد تم تدمير البحرية اليابانية أو ما إلى ذلك» وضحك المشاهدون، إذ لماذا إعطاء الشاهد يمين البحرية اليابانية في حين لا توجد بحرية يابانية؟

دخل هاشيموتو قاعة المحكمة متثاقلاً وبات عرضة لتمحيص مكثف. هل هذا هو المحارب الياباني الشرس الذي احتل عناوين الصحف ـ هذا الرجل القصير القامة والخنوع والأشعث الشعر وذو النظرة الخائفة نوعاً ما في عينيه؟ بعد انحناءة عميقة للمترجمين ولرئيس المحكمة، جلس هاشيموتو على مقعد أمام طاولة الادعاء. نظر حوله إلى المشاهدين بعدم ارتياح. كانوا يحملقون فيه وكأنهم في حديقة حيوانات يحدقون في طائر من المشرق نادر الوجود.

ألقى هاشيموتو نظرة عجلى على مكفاي وكان لا يزال غير قادر

على أن يصدق أن القائد الأمريكي هو الذي تجري محاكمته وأنه هو، العدو المنهزم. جُلب من اليابان للإدلاء بشهادة يحتمل أن تجرّم الرجل. لو كانت اليابان هي التي كسبت الحرب، من المتعذر لأحد أن يتصور أن تستدعي محكمة يابانية قائداً أمريكياً ليشهد في محاكمة ضابط ياباني. وفي واقع الأمر، لا يستطيع أن يتذكر أي قائد ياباني حوكم أمام محكمة عسكرية بسبب فقدانه سفينة. يا لغرابة الأمريكيين!

لربما أحس هاشيموتو أيضاً بشيء من الرضا التواق إلى الانتقام، فقد أغرق السفينة التي مكنت من قتل ما يربو على مئة ألف إنسان في هيروشيما. يا لها من عدالة شاعرية!

ورغم ذلك، أحس بتعاطف غريب تجاه مكڤاي، إحساس ليس نابعاً من شعور باحترام مهني فحسب، وإنما من إحساس بالعرفان بالجميل. فقد أتاح له مكڤاي، على أية حال، فرصة إغراق أول سفينة عدوة من أجل الإمبراطور. ولعلها كانت السفينة الوحيدة.

كان وجود هاشيموتو في قاعة المحكمة أمراً لا يصدق بالنسبة إلى مكڤاي مثلما كان بالنسبة إلى هاشيموتو، رغم معرفة مكڤاي بأن الرجل سيكون شاهداً. رأى في وجود هاشيموتو أكثر من إماتة شخصية للجسد والتي مهما كانت مؤلمة، فهي نوع من العلاج الماسوشي لإحساسه الظاهر بالذنب. فقد جددت رؤية ذكريات أولئك الذين ماتوا على يد هذا الرجل. لم يشعر مكڤاي بأي حقد شخصي نحوه؛ فقد كان هاشيموتو يؤدي واجبه فحسب، وقد أطلق

قذائف الطوربيد بمهارة. ولكن هاشيموتو كان مصدر الرعب والإذلال، والآن سيشهد ضده.

استجوب كيدي الشاهد وكان المترجم يقوم بالترجمة:

كيدي: يا هاشيموتو، ما هي عقيدتك الدينية؟

المترجم: إنه من أتباع الشنتو[1].

كيدي: هل تعرف معنى الحقيقة والبهتان؟

المترجم: يقول إنه يدرك تمام الإدراك الفرق بين الحقيقة والبهتان.

كيدي: ماذا يحدث لك في ديانتك إذا قلت بهتاناً؟

المترجم: إذا حدث وأن تفوه بأي بهتان، يجب أن يحاسب عليه، أي إنه سيعاقب عليه.

كيدي: هل تتضمن ديانتكم إيماناً بالحياة الأخروية؟

المترجم: يؤمن بأن الروح موجودة بعد الموت.

كيدي: وإن عقوبة قول الزور ستكون في الآخرة؟

أذهلت هاشيموتو هذه الأسئلة اللاهوتية التي شعر بأنه ينبغي عدم توجيهها لمؤمن اعتيادي للإجابة عليها. ومع ذلك فقد أجاب:

---

(1) الشنتو هي ديانة اليابان الأصلية القائمة في المحل الأول على تقديس أرواح الأبطال والأباطرة والقوى الطبيعية.

المترجم: يؤمن بأنه. . . سيعاقب أثناء حياته على أي بهتان أو شر قد يتفوه به أو أي شيء قد يرتكبه، ولكن سيكون هناك غفران عند موته.

كيدي: هل لديك أية معرفة بالديانة المسيحية؟

المترجم: أجل، لديه معرفة طفيفة بالديانة المسيحية.

كيدي: هل تعرف ماذا تعني شهادة الزور؟

المترجم: لديه معرفة تامة بها.

كيدي: هل ثمة عقوبة في القانون الياباني لشهادة الزور؟

المترجم: يقول إنه لا يعرف كل التفاصيل ولكنه يعلم، حسب رأيه، أن ثمة عقوبة لها.

لدى انتهاء الاستجواب التمهيدي، قضت المحكمة بأن هاشيموتو فهم معنى القسم وأنه تتوفر فيه الشروط القانونية للإدلاء بشهادته. ثم لقنه رئيس المحكمة يمين الجزاءات والعقوبات، واليمين الملزمة على المواطن الياباني في محاكمه الخاصة به. وعندما وَقَّعَ الشاهد على اليمين الأولى والعقوبات باللغة الإنكليزية وعلى القسم الثاني باللغة اليابانية، جلس وتنفس الصعداء. ولكن سرعان ما اعتراه توتر جديد. يجب عليه الآن المساعدة في تقرير مصير رجل أغرق سفينته ـ الرجل الأنيق الجالس على طاولة الدفاع والذي راقبه بدقة وهو يستوعب عدم احتمالية المشهد. هل سمع أحد قط بمنتصر يصلّي من أجل كلمة طيبة من المهزوم؟

ولكن إذا كان هاشيموتو قد أبدى تقمصاً عاطفياً تجاه مكفاي، لم يأسف لهجومه على سفينة الرجل. في واقع الأمر، انتابه «شعور سائغ» حين رأى نموذجاً للطراد إنديانابولس قابعاً على الطاولة التي أمامه. أجل، هي السفينة التي أغرقها من أجل الإمبراطور.

وإذ بدأ رايان يستجوب هاشيموتو، ران صمت مطبق على قاعة المحكمة وسط توقعات بإفشاء وقائع مثيرة. ولكن لم تومض شرارة واحدة في الصمت. اكتفى رايان بسبر خلفية الشاهد والنواحي الفنية لهجومه وطلب منه الوقوف وأن يحدّد بمساعدة أدوات ملاحية على خارطة كبيرة مسارات السفينتين والبقعة التي حصلت فيها المواجهة العنيفة. انصاع هاشيموتو للطلب وتجمع القضاة حوله. وبالنظر إلى ردود هاشيموتو في الاستجواب الذي سبق المحاكمة، لم يكن من المدهش عدم طرح رايان أسئلة بشأن الأحوال الجوية أو تحركات تعرج الطراد إنديانابولس، رغم أن هذه الأسئلة كانت الأوثق صلة بالتهم.

أما النقيب كيدي، فقد طرح في مناقشة الشاهد أسئلة هامشية في البداية، ولكنه تناول فيما بعد التهمة الرئيسة.

كيدي: هل كان الهدف يتعرج حين شاهدته؟

المترجم: في وقت مشاهدة الهدف، كانت هناك غشاوة غير مميزة ولم يتمكن من تحديد ما إذا كان الهدف يتعرج أم لا.

كيدي: هل تعرج الهدف لاحقاً؟

المترجم: لا مجال للشك في أن الهدف لم يقم بأي تغيير جذري في مساره. ثمة إمكانية ضئيلة في أنه قد حصل تغيير طفيف في المسار بين وقت رؤية الهدف ووقت مهاجمته.

لما كان بوسع هاشيموتو فهم بعض الإنكليزية، أحس بأن إفادته لم تترجم بدقة، وتعاطفاً منه مع مكڤاي، أراد أن يكون منصفاً تجاهه. التفت إلى المترجم وشكا من عدم دقة ترجمة الإفادة. ادعى أنه لم يقل إنه كانت «ثمة إمكانية ضئيلة في أنه قد حصل تغيير طفيف في المسار» قبل الهجوم. بل إنه قال ما أخبر به رايان وكيدي في المقابلتين التمهيديتين. وإلاّ كيف كان بوسعه أن يرى صارياً واحداً في البداية ثم اثنين؟

هز المترجم كتفيه بلا مبالاة وأجاب: «لقد أعطيت جواباً موجزاً وبسيطاً وهذا يكفي».

ومع ذلك، ألحّ هاشيموتو على دقة الترجمة وحاول حتى الاحتجاج لدى القضاة؛ ولكن بما أنه غير قادر على التعبير عن نفسه بالإنكليزية على نحو جيد بما فيه الكفاية، أدرك عقم احتجاجه وأخذ يترقب السؤال التالي الذي كان السؤال الرئيسي:

كيدي: لو كان الهدف يتعرج، هل من شأن ذلك أن يحدث فرقاً لك بشأن هذا الهجوم؟

المترجم: كلا. لن يحدث أي تغيير في طريقة إطلاق قذائف الطوربيد وإنما بعض التغيير في المناورة.

أخذ كيدي على حين غرة على ما يبدو. ففي المقابلة التمهيدية، قال هاشيموتو صراحة: «لم يكن ليحدث أي فرق». هل ترجم المترجم مرة أخرى كلمة هاشيموتو على نحو غير دقيق؟ هل أهمل الشاهد ببساطة توضيح إفادته؟ أياً كان الجواب، لم يلح كيدي عليه بتقديم توضيح، وهو موقف تعذر تعليله.

كما أن رايان لم يلح على الإيضاح حين استأنف استجوابه للشاهد. كما لم يسأل هاشيموتو عن الأحوال الجوية ـ رغم أن الشاهد، في رده على سؤال حول استخدامه الرادار، تطوَّع بمعلومات مفادها «أن الرؤية كانت حسنة قبل الصعود إلى السطح».

أخفق كيدي مرة أخرى في الحصول من الشاهد على ما أفاد به في المقابلة التمهيدية ـ بأن الرؤية كانت سيئة حقاً فيما عدا باتجاه القمر. وبالتالي أفاد سجل المحكمة «أن المتهم لم يشأ إعادة مناقشة هذا الشاهد».

بدا الارتياح على كلا المحاميين حين وقف هاشيموتو وانحنى للمحكمة وغادر سريعاً وبجانبه مرافقه.

وأخيراً، في 19 كانون الأول/ديسمبر، بعد أن أدلى 57 شاهداً بشهاداتهم، وتكلم العديد منهم بالنبرة المتقطعة السقامية المميزة للناجين بأعجوبة، حان الوقت للمرافعات الختامية. بدت على النقيب

رايان علامات الإجهاد. هل ارتد قراره باستدعاء أجنبي عدو للشهادة إلى نحره؟ هل كان لشهادة النقيب دوناهو المتسمة بالخبرة تأثير قوي على القضاة؟ علم أن جميع القضاة كانوا رجال بحرية حقيقيين يحترمون حرفية كل قاعدة أكثر مما يحترمون مجرد المنطق الذي يصطدم أحياناً مع القاعدة. وهكذا لجأ رايان إلى سرد نقاط محدَّدة من الشهادة الضارة ليوضح كيف أن الكابتن مكڤاي انحرف عن قواعد سلاح البحرية.

قال رايان، أجل ربما أصدر مكڤاي الأمر بإخلاء السفينة ولكن ليس في الوقت المناسب ولا بطريقة فعالة. لقد تجاهل تقرير الرائد كيسي بأن «الحجيرات في الجزء العلوي الأمامي كانت تنغمر بسرعة». ونتيجة لذلك، فإن العديد من الرجال، لو سمعوا الأمر بأية حال، قفزوا في الماء دون أن يكون لديهم الوقت للعثور على واقيات نجاة وغرقوا؛ كما أن ساعياً يفترض أنه أرسل إلى قاعة المحركات ومعه أمر «بالإخلاء» لم يصل؛ ولم يغلق أحد أية أبواب كتيمة للماء. وجزم رايان بأن الضابط القائد هو في النهاية المسؤول عن كل هذه الإخفاقات. وأخذ رايان يقلب أرقام صفحات وأسئلة الشهادات «إثباتاً» لكل نقطة. وكان في غاية الحماسة في محاولته لدرجة أنه كان أحياناً يورد إفادة ذات علاقة طفيفة بالتهمة الموجهة أو لا علاقة بها إطلاقاً.

لماذا لم يأمر مكڤاي ضباطه بالتعرج عندما «كان هناك ضوء قمر متقطع». لماذا اعتمد على مبدأ السفينة [الذي يسمح للمرؤوسين

باتخاذ قراراتهم الذاتية حسبما تملي الظروف] من أجل التعويض عن عدم إصداره أوامر محدَّدة للبدء في التعرج... إذا... تحسنت الرؤية؟».

حين انتهى رايان من مرافعته، أطفأ النقيب كيدي سيجارته التي لا غنى عنها ووقف وباشر في الرد على النقاط الضارة بينما ركز على «معقولية» إجراءات مكڤاي. ولكنه كان أيضاً غير مرتاح. وأقر بصمت بأن مكڤاي ربما انتهك فنياً القاعدة التي تقول إنه يجب على السفن، في جو صاف نسبياً، التعرُّج في جميع الأوقات في منطقة قتال، وحتى في مياه أقل خطراً ـ رغم أن مسألة الطقس في تلك الليلة كانت مثاراً للجدل والخلاف. وعرف كيدي، شأنه شأن رايان، مدى أهمية القواعد لرجل بحرية حقيقي، وبخاصة إذا كان انتهاكها سيفضي إلى كارثة. يبدو أنه لم يدرك، مثل الأميرال نيمتز، أن قاعدة التعرج لا تنطبق على هذه الحالة لأن أوامر تحديد المسار لدى مكڤاي تمنحه التصرف حسبما يرتئيه بشأن هذه المسألة وتحتل الأولوية على غيرها من الأمور. وعلى أية حال، لم يذكر أبداً هذه النقطة الحيوية في المحكمة وإنما دعا فقط إلى «الفطرة السليمة».

ما هو الإهمال؟ أعلن كيدي أن الإهمال هو «الإخفاق في ممارسة الحذر الذي يستخدمه رجل حذر اعتيادياً في الظروف في تأدية مهامه». وقال: «إن البينة توضح أنه كان لدى [مكڤاي] في الخفارة ضباط قديرون وذوو خبرة، وأن أوامره الدائمة والليلية تنص على حالات الطوارىء ذات الصلة... وأنه كان بنفسه في سدة

القبطان قبل وبعد الوقت الحرج لطلوع القمر. . . [هذه] حقيقة لا جدال فيها. ليس واضحاً ماذا كان بوسع أي ضابط آمر حذر اعتيادياً أن يفعل أكثر من هذا».

لماذا لم يتصرف مكفاي استناداً إلى تقرير كيسي مور؟ «أولاً، لأن الميلان كان طفيفاً في ذلك الوقت؛ وثانياً لأنه كان يعلم. . . أنه لم يكن لدى مور سوى وقت يكفي لإجراء معاينة عاجلة للغاية؛ وثالثاً، بسبب رغبته الطبيعية والجديرة بالثناء في إنقاذ السفينة إن أمكن ذلك».

وعلاوة على ذلك «هناك وفرة من الشهادات مفادها أن الأوامر الفعلية بإخلاء السفينة وصلت إلى كل جزء من السفينة. . . وأخليت الحجيرات في الأسفل. ونقل جميع الرجال القادرين على الحركة إلى السطح العلوي. وصدرت أوامر بالحصول على سترات نجاة ورماث وشباك عوم. . . وكان هناك وقت كافٍ لكل من كان حياً للوصول إلى سطح السفينة».

توقف كيدي ثم أكَّد بقوة: «عندما تصاب سفينة وتغرق في غضون 15 دقيقة، لا يعود للتصرف في الوقت المناسب أي معنى. ولا يمكن القيام بكل هذا وفي وقت قصير للغاية إلاَّ إذا توفر طاقم حسن التدريب ويقظ ومتزن العقل.

وتجرَّأ بتوجيه إصبع اتهام غير مرئي إلى «كبار الضباط» الذين لم يعرفوا حتى عن فقدان السفينة ولاحظ أن معظم الأحياء، على أي

حال، لم يموتوا «عند غرق السفينة وإنما ماتوا في الماء».

وأخيراً، انتهت المحاكمة وانسحب أعضاء المحكمة للمداولة. تشجع مكڤاي فقد أدَّى محاميه عملاً جديراً بالثقة رغم ارتكابه بعض الأخطاء، واستطاع أن يرى من التعبير المفعم بالأمل على وجه زوجته وأصدقائه أنهم كانوا متشجعين أيضاً. هل سيتسنى له أن يحيا قريباً حياة عادية مع لويز؟ كانت الفكرة منعشة في البداية، ولكن سرعان ما تبدَّدت. حتى وإن تفادى العار الشخصي، فإن ذلك لا يهم كثيراً حقاً في سياق الأهوال التي التهمت عدداً كبيراً جداً من رجاله. علم مكڤاي أنه أياً كانت النتيجة، ستظل تلاحقه الأشباح المسيطرة على روحه.

ومع مرور الدقائق، جلس مكڤاي مع زوجته في غرفة مجاورة ينتظر القرار. ضغطت لويز على يده لمؤاساته. وأكَّدت له أن الأمور ستنتهي على خير ما يرام. فقد سمعت أن الجميع، وحتى رجال الصحافة، شعروا أن ساحته ستبرأ.

كان مكڤاي عميق الاطلاع بمنطق البحرية. لذلك بقي يفكِّر أنه لن يبرأ ـ ولكنه اعتقد جازماً أن الادعاء أخفق في إثبات قضيته. ومن ناحية أخرى، أوضح الدفاع أنه لم تشاهد سفينة للعدو حتى رغم تأدية الرجال في نقاط المراقبة عملهم بكفاءة؛ ورغم اتخاذ جميع إجراءات السلامة الاحترازية على متن السفينة؛ ورغم إرسال رسائل استغاثة لاسلكية على تردد واحد على الأقل حتى مع احتمال ألاَّ تكون

الرسائل قد خرجت؛ ورغم صيانة معدات الإنقاذ وغيرها من تجهيزات الطوارىء صيانة صحيحة وملائمة وإن كانت البحرية قد زوَّدته برماث نجاة سيئة التجهيز وببراميل خشبية متسرِّبة وبإمدادات طبية سيئة التغليف، وبطعام لا يصلح لحالات الطوارىء.

والأهم من كل هذا هو أن العديد من رجاله شهدوا أنهم تلقوا أوامر بإخلاء السفينة في وقت يسمح لهم بالقفز بأمان أو احتمال أن تكون أوامر كهذه قد صدرت دون أن يسمعوها؛ كما أن قائد غواصة يحمل أوسمة عديدة وكذلك هاشيموتو نفسه قد أفادا بأن التعرج ما كان لينقذ السفينة.

ومع ذلك، التزم مكڤاي الصمت وهو يحملق في الفضاء مثل رجل يبحث عن الأمان في عالم بعيد. كان يحب زوجته بتفان ولكنه تساءل عما إذا كان من الصواب لها أن تشاطره بؤسه. وفي كل مرة كان يقبِّل أو يعانق أحدهما الآخر، كان يلعن نفسه لاستمتاعه بملذات لن يعرفها قط الكثير الكثير من رجاله على الكرة الأرضية.

وأخيراً جاء وقت الاستدعاء. واجتمعت المحكمة وجلس مكڤاي في مقعده على طاولة الدفاع.

هَلاَّ وقف المتهم، رجاء.

نهض مكڤاي ووقف متصلباً وصدره مندفع إلى الأمام، وكانت الأشرطة على بزته الزرقاء براقة ووجهه المتجهم المليح خالياً من أية تعابير تماماً كما كان حين منح قلادة «النجم الذهبي» وبدت العينان

اللتان كانتا برَّاقتين ذات يوم مختلفتين، إذ حملقتا مباشرة في الرجال السبعة غير المبتسمين الجالسين أمامه ـ رغم أنه لم يكن يراهم حقاً على ما يبدو. فالرجال الذين رآهم كانوا يبتسمون ويمزحون وتغمرهم الأحلام.

وفي الصمت المتوتر، رنَّ صوت القاضي بنفس رتابة صوت قطار يقرقع على سكة حديد براقة:

«لم تثبت مواصفات التهمة الثانية، وبالتالي فإن المتهم، تشارلز ب. مكفاي الثالث، الكابتن في البحرية الأمريكية غير مذنب في التهمة الثانية وبالتالي تبرِّىء المحكمة المدعو تشارلز ب. مكفاي الثالث، الكابتن في البحرية الأمريكية من التهمة الثانية.

ابتهج معظم المشاهدين غير أن الكابتن مكفاي ظلَّ بلا حراك. فقد أدرك ما لم يدركه معظم المشاهدين ـ إنه في واقع الأمر قد وجد مذنباً ولا يصلح للقيادة في البحرية. رغم تبرئة المحكمة إياه من التهمة الثانية ـ وهي عدم إصدار الأمر لرجاله بإخلاء السفينة في الوقت المناسب ـ فإنها لم تبرئه من التهمة الأولى ـ «تعريض السفينة للخطر» من خلال عدم إصدار أمر بالتعرج. وكان يعرف أن البحرية لا تعلن أبداً عن كون متهم مذنباً إلى حين إجراء مراجعة كاملة لقضيته، لذلك فإن صمت المحكمة على التهمة الأولى هي عبارة عن حكم باعتباره مذنباً. جلس مكفاي دون أن يدرك على ما يبدو أن النقيب رايان كان يقدم كدليل سجل صلاحية المتهم.

بدا أن رايان لم يكن يرغب في إذلال مكڤاي أكثر من اللازم. فقال إن سجله لا يتضمن سوى قيد واحد غير مؤات، وهو كتاب تأنيب بشأن فقدان السفينة إنديانابولس، ولكن فيما عدا ذلك يستحق المتهم درجة ممتاز طيلة فترة خدمته.

إن كان مكڤاي قد سمع هذه الكلمات، لم يظهر تلميح لذلك على سيمائه الشاحب الخالي من أي تعبير. كان فخوراً حقاً بسجله «الممتاز» ولكن انتهى كل شيء الآن ـ مهنته وحياته. ومع ذلك، لم يكن مندهشاً أو حتى آسفاً على نفسه. ولكن والده وزوجته ـ إنهما الآن في عداد خسائر الطراد إنديانابولس.

وحالما خلت قاعة المحكمة، وقف مكڤاي وإلى جانبه لويز، وكانت صامتة وكئيبة مثل زوجها واتجه نحو الباب. وفجأة، هرع رايان نحوه.

قال: «يا تشارلي، أريدك أن تعرف أنه لا يوجد أي شيء شخصي في هذا وكنت أتمنى لو انتهت الأمور على نحو مغاير».

حملق مكڤاي في رايان وكأنه في حالة من الذهول. زميل دراسته القديم في أنابولس، توم رايان. يا لها من أيام عظيمة أمضياها معاً. ويا للأحلام التي راودتهما. وكم كان مكڤاي «الأرنب» فخوراً بأن أصبح ضابطاً بحرياً.

أجاب مكڤاي بنبرة هادئة متزنة لرجل ربما قد أوكلت إليه للتو مهمة قتالية «أياً كان الحكم، فإنه من أجل مصلحة سلاح البحرية».

كان رايان على علم بقرار المحكمة قبل أن يعرفه مكفاي، لأنه استدعي أثناء فترة التوقف إلى غرفة المداولة وطلب منه أن يسجل ليس فقط تبرئة مكفاي من التهمة الثانية وإنما تدوين ملاحظة مفادها أن «مواصفات التهمة الأولى قد ثبتت. وأن المتهم تشارلز ب. مكفاي الثالث، الكابتن في البحرية الأمريكية، مذنب في التهمة الأولى».

وحين غادر مكفاي قاعة المحكمة، استدعت المحكمة رايان مرة أخرى، وأمرته بأن يسجِّل جملة المحكمة.

سجَّل رايان: «تحكم المحكمة على تشارلز ب. مكفاي الثالث، الكابتن في سلاح البحرية بفقدان مئة (100) علامة في درجته المؤقتة كنقيب وبفقدان مئة (100) علامة في درجته الدائمة كقائد».

أدرك رايان الآن ماذا يعني انتصاره. لن يستطيع مكفاي أبداً التقدم في البحرية.

ولكنه أحس بالارتياح من عبئه الثقيل حينما طلبت إليه المحكمة تسجيل توصية ترفع إلى محكمة الاستئناف: «بالنظر إلى سجل المتهم الممتاز واعتقاداً منا بأنه لم يحدث قط أن تعرض ضابط آمر غيره فقد سفينته نتيجة عمل عدو لمحاكمة عسكرية، نوصي بقوة بأن تبدي السلطة المراجعة الرأفة تجاه تشارلز ب. مكفاي الثالث، النقيب في البحرية الأمريكية».

ثم وقَّع كل من القضاة السجل بكآبة ـ فقرة لإرضاء القيادة العليا على ما يبدو، والأخرى لتهدئة ضمائرهم.

في اليوم التالي، زخرت الصحف بالتعليقات والافتتاحيات.

* **صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون** New York Herald Tribune: «كان بعض الصحفيين واثقين من أن المحكمة سترد التهمتين ضد الكابتن مكفاي لدرجة أنهم أعدوا تقارير تعلن براءته قبل أن تنعقد المحكمة للنطق بالحكم».

* **صحيفة اليانس الأمريكية الشمالية**: هل تحاول البحرية إخفاء شيء ما؟ هل تحاول أن تجعل من الكابتن مكفاي كبش فداء؟

* **نشرة الجيش والبحرية**: «يجب أن تنصب المسؤولية عن الكارثة المفاجئة على درجات عديدة أعلى من ضابط آمر بمفرده. إذا كان قد نجا من السفينة الغارقة بين 800 و900 رجل، فإن فقدان الأرواح الأمريكية بسبب الغواصة اليابانية كان أدنى مما سببه إهمال القيادة العليا.

تراكمت الرسائل على مكتب فورستال في مكتب وزير البحرية. قالت إحداها على نحو نموذجي: «أحث على إبداء الرأفة تجاه الكابتن مكفاي. إذا كان مذنباً، فإن معظم قادتك في زمن الحرب مذنبون، وأنا من بينهم، حتى التعليمات المكتوبة على الآلة الكاتبة تركت... مجالاً للاجتهاد فيما يخص الوقت الذي ينبغي فيه للسفن أن تتعرج» ـ ف. ج. موريل F. G. Murrell.

وفي غضون ذلك، لم تهدىء الإدانة عائلات بعض الموتى. كانوا يريدون رؤوساً أخرى إضافة إلى رأس مكڤاي.

ومن ثم كان هناك الكونغرس.

صرخ النائب هنري د. لاركيد الابن Henry D. Larcade, Jr. من لويزيانا من على أرضية مجلس النواب قائلاً: «بدلاً من جلب الكابتن مكڤاي للمحاكمة، ينبغي أن يستدعى أمام محكمة عسكرية أولئك المسؤولون عن... عدم إرسال سفن إنقاذ إلاَّ بعد خمسة أيام من وقوع الكارثة».

وقد راع النائبة إديث روجرز Edith Rogers من ماساشوستس استدعاء الادعاء هاشيموتو للشهادة. قالت إن ما من بلد يفعل شيئاً مستهجناً كهذا. وقدمت قراراً لشطب شهادة الشاهد من السجل، رغم أن هذا القرار سيموت في اللجنة، إذ إن معظم أعضاء الكونغرس لا يرغبون في مقارعة البحرية الأمريكية.

ولكن سواء كان القرار حياً أو ميتاً، فقد أزعج فورستال ورؤساء البحرية العاملين لديه إزعاجاً عميقاً لأنه بدا أنه يشكِّك في دوافعهم. وبدأ الوزير يتساءل عن حكمة عقد محاكمة قبل استكمال تحقيق المفتش العام. إذا اتضح أن مكڤاي بريء، يتعيَّن على فورستال إسقاط الإدانة وقد يتساءل الناس لماذا لم يؤجل المحاكمة.

في 23 كانون الأول/ ديسمبر، بعد أربعة أيام من انتهاء المحاكمة العسكرية، بعث فورستال بقلق مذكرة إلى المفتش العام الأميرال

سي. بي. سنايدر C. P. Snyder سأله فيها: متى سيصبح تقريره جاهزاً؟

وصل الرد إلى فورستال بعد عدة أيام: أصبح التحقيق جاهزاً الآن وهو يتضمَّن مقابلات مع خمسين شاهداً و616 صفحة من الشهادات. وفي الأسبوع التالي، حين وصل التقرير الضخم، قرأه إدوارد هيدالغو بعناية ثم خط مذكرة إلى فورستال ضمنها بعض الاستنتاجات.

استناداً إلى التقرير، وجه هيدالغو سؤالاً بلاغياً، هل ينبغي للوزير نقض إدانة مكڤاي؟

هذا الخيار غير ملائم... رغم أنك تملك سلطة نقض الإدانة دون تقديم أية أسباب معيَّنة.

لذلك، اعتبر هذا الأمر مشكلة قانونية محضة يتصرَّف فيها وزير البحرية بصفة مساوية لصفة محكمة استئناف. وقياساً على هذا الاختبار، توجد على ما يبدو بيِّنة كافية لدعم قرار المحكمة:

1 ـ كان مكڤاي مسؤولاً عن سلامة سفينته؛

2 ـ لم تكن السفينة متعرِّجة؛

3 ـ وفقاً لأوامر أسطول الولايات المتحدة، كان ينبغي للسفينة أن تكون متعرِّجة.

صحيح أن الرابطة السببية بين عدم التعرج وفقدان السفينة لا يقوم على أساس متين كما يبدو، في واقع الأمر، فإن نسبة لا

بأس بها من الشهادة بشأن هذه المسألة قدمها شاهد الدفاع (النقيب دوناهو) الذي أفاد بالفعل أن التعرج يزيد من صعوبة شن هجوم. غير أن الحقيقة تبقى أن التهمة الفنية التي أُدين مكڤاي على أساسها تتمثل في «تعريض سفينته للخطر» ـ وليس التسبُّب في فقدانها أو إغراقها.

واصل هيدالغو، قائلاً إنه تحادث مع خبير قانوني آخر حبَّذ لغة إضافية [في الرد على استئناف مكڤاي] مفادها أن مكڤاي أُدين بتهمة فنية مفرطة، إلخ. ولكن يعتقد أن لغة كهذه تميل إلى أن تؤدي إلى تضمين اعتذار ضمني عن محاكمة مكڤاي.

بمعنى آخر، رغم أن التهمة ضد الكابتن مكڤاي قد تكون مفرطة فنياً، لا يمكن للبحرية الاعتراف بها دون إثارة شكوك في أن المحاكمة كانت صورة زائفة عن العدالة. كما لم تلحظ المذكرة حقيقة مفادها أن أوامر مكڤاي المتعلقة بتحديد المسار تحتل الأولوية على قاعدة التعرُّج الدائمة، وبالتالي فإن الكابتن قد لا يكون ارتكب حتى انتهاكاً «فنياً مفرطاً» للقاعدة.

أصغى فورستال لمشورة هيدالغو وتشبث بخيط العقلانية من أجل الإدانة. على أية حال، صادق الأميرال دنفيلد والأميرال كنغ على الحكم. ولكن بالنظر إلى سجل مكڤاي الماضي الممتاز، وإلى قلق ضميريهما على ما يبدو، أوصيا بإلغاء الحكم. لن تحول هذه الوصمة بينه وبين الحصول على مزيد من أشرطة البحرية في الوقت الحاضر على الأقل. أجل، إنه حل وسط منطقي. ستظل إدانة مكڤاي قائمة ولكنه لن يعاقب.

تتمثل المشكلة في أن إجراء كهذا لن يرضي أولئك الذين يريدون لمكفاي أن يبرأ، ولا أولئك الذين يريدونه أن يعاقب. ظل قادة البحرية يخشون أن يطالب الفريقان مقاضاة ضباط كبار آخرين قد يكونون متورطين كذلك. لدى التفكير ملياً في هذه المسألة، خط هيدالغو مذكرة إلى الوزير في 16 شباط/فبراير:

> علينا أن نواجه بأمانة سؤالاً يبدو حتمياً وهو ما إذا كان يتعيَّن على البحرية إجراء مزيد من التحقيقات وإذا كان الجواب نفياً، أي إجراء تأديبي اتخذ إضافة إلى محاكمة مكفاي. إن فهمي الحالي هو أن التحقيقات قد انتهت. إذا كان هذا صحيحاً، ينبغي أن نقول هكذا صراحة.

وافق فورستال ظاهرياً. ولكن عليه أن يكون حذراً في اختيار الرجال الذين سيتم تأديبهم. لن تُجْرَىٰ محاكمات أخرى تؤدِّي إلى احتمال الكشف عن مسائل مربكة. يكفي توجيه كتاب تأنيب أو تنبيه. كان قد حصل على قائمة أوصى بها الأميرال نيمتز: كتاب تأنيب إلى كل من الرائد جيليت والنقيب غرانوم، وكتاب تنبيه إلى النقيب ناكوين. عمد الأميرال كنغ إلى إضافة الملازم جبسون والرائد سانشو إلى قائمة الأسماء المخزية.

أراد وزير البحرية ورجاله رؤية عقبول إنديانابولس يتلاشى بنفس السرعة التي تلاشت فيها السفينة.

وهكذا خط الأميرال شيرمان تقريراً عنوانه «سرد ظروف فقدان السفينة الحربية إنديانابولس»، يصف أسباب المأساة. وفي غضون

بضعة أيام، سيعقد مؤتمر صحفي وستقدم الوثيقة إلى الصحفيين كل ما يحتاجونه من أجوبة.

ولكن لم يكن الوزير ورجاله للأسف متأكدين من ماهية جميع الأجوبة. تشبَّث فورستال وهيدالغو بشكوكهما. هل يمكن تأديب ناكوين ـ الذي مآله أن يتقاعد برتبة عميد بحري ـ دون إقرار منهما بأنه ينبغي تأديب رؤسائه كذلك؟ هل ينبغي أن يذكر التقرير أن مكڤاي لم يبلِّغ عن الغواصات اليابانية الأربع أو عن غرق السفينة أندرهل في المنطقة؟

وزنا كل كلمة وكل فقرة. نصَّت فقرتان من أشد الفقرات تفجراً على ما يأتي:

> كانت توجد دلائل على أنه أبلغ بأن أربع غواصات يابانية على الأقل كانت تعمل في البحر في مهمات هجومية [في حزيران/ يونيو، وتموز/ يوليو 1945]. غير أن هذه المعلومات المحدَّدة، رغم معرفة الكابتن ناكوين بها... لم تصل إلى ضابط العمليات أو إلى ضابط تحديد المسارات في... غوام. وبسبب هذا الفشل، اعتبر النقيب ناكوين مسؤولاً.

في 27 تموز/ يوليو... زار مكڤاي مقر القيادة المتقدم للقائد العام لأسطول المحيط الهادىء ولم تقدم له أية معلومات بشأن نشاط للعدو باتجاه غربي غوام... وفي مكتب مدير الميناء... بحث مع أحد ضباط [تحديد المسارات] تفاصيل عن مسار سفينة ووجود نشاط

محدَّد للعدو في المنطقة. . . لم يبلغ بوجود الغواصات اليابانية الأربع باتجاه الغرب.

كانت هذه الإفادات بمثابة اعتراف من البحرية بأن الكابتن مكڤاي غادر غوام دون حصوله على ما كان يحتاجه من معلومات حيوية لحماية سفينته من هجوم من الغواصات ـ وهو صلب دفاع مكڤاي. حذفت هذه الإفادات من السرد وأضيفت فقرة جديدة:

> في 27 تموز/ يوليو، زار. . . مكڤاي مكتب مدير الميناء في غوام بصدد مساره إلى لايته. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، زار ملاح إنديانابولس مكتب مدير الميناء أيضاً. . . وتضمنت تعليمات تحديد المسار معلومات عن احتمال وجود غواصات للعدو على طول المسار وجرى بحثها مع الملاح.

> ماذا ذكر السرد المعدل إذن؟ إيجاز الاستخبارات العديم الفائدة والعتيق «الوارد في تعليمات تحديد المسار» وهو الإيجاز الذي تحدث عن مشاهدة سفن تجارية ما يحتمل أن تكون غواصات وهمية ومناظير أفق متلاشية.

ماذا أغفل السرد ذكره؟ المعلومات العاجلة التي كتمها ناكوين عن مكڤاي بشأن الغواصات اليابانية الأربع التي كانت في مهمات هجومية وبشأن إغراق السفينة أندرهل.

والآن تصارع فورستال وهيدالغو مع السؤال التالي: هل ينبغي ذكر جبسون وسانشو في السرد؟

كان جبسون قد تسلَّم كتاب تأنيب وتسلَّم سانشو كتاب تنبيه نتيجة تحقيق غوام. ولكن احتج جبسون قائلاً إنه بريء تماماً، إذ إنه لم يتلق أية أوامر بشأن الإبلاغ عن عدم وصول سفن قتالية إلى لايته.

بيد أن الأميرال موريس، رئيس أركان نيمتز، لم يقتنع بحجة جبسون، إذ شعر أنه ينبغي للضابط البحري الجيِّد أن يبقي هوائيه فاعلاً على الدوام لالتقاط إشارات الاستغاثة. وقال إنه ينبغي عدم سحب التأنيب. ووافق الأميرال كنغ.

لكن إدوارد هيدالغو لم يشأ جدالاً عاماً قد يخرج عن السيطرة إلى حد مربك. لماذا لا يكتفى بذكر اسمي مكتبي جبسون وسانشو؟ كتب إلى الوزير قائلاً:

> ثمة شعور قوي سائد بين الرجال الذين قادوا سفننا في المنطقة الجنوبية من المحيط الهادىء، مفاده أن عدم الإبلاغ عن وصول سفينة ليس هو الأسلوب المقبول والشائع فحسب، وإنما هو إجراء يتماشى كلياً مع تعليمات القائد العام لأسطول المحيط الهادىء. [كذلك]. يبدو أن الإنصاف يتطلب تسمية الجميع، أو عدم تسمية أحد. هناك أطراف أخرى متورطة في أخطاء في التقدير، إلخ... في غوام وفي أماكن أخرى وهي أطراف يبدو أنها لا تستحق أية مطالبة استثنائية مغفلة ومجهولة.

أزعج هذا التقييم فورستال على ما يبدو. صحيح أن آخرين كانوا بلا شك «متورِّطين في أخطاء في التقدير» وأن القائمة طويلة ـ طويلة بما فيه الكفاية بحيث تلحق ضرراً جدياً بصورة سلاح البحرية:

- أخفق العميد كارتر في تحذير مكفاي بوجود خطر من الغواصات وأصدر أمراً خاطئاً بشأن وصول السفن القتالية.
- أهمل النقيب لايتون، ضابط الاستخبارات القتالية في غوام ونظيره في واشنطن، النقيب سمدبرغ التحقيق في التقرير الملتقط ما بين الغواصة 58 - I بأنها أغرقت سفينة حربية للعدو.
- لم يحاول الأميرال ماكورمك، شأنه شأن ضباط قيادة حدود بحر الفلبين، معرفة سبب تأخر وصول إنديانابولس عن موعدها في لايته.
- لم يجر الأميرال أولدندورف الذي كان يعرف عن قدوم السفينة ولكن ليس موعد وصولها أية تحريات بعد مرور فترة معقولة من الزمن.
- لم يراقب الأميرال موراي مرؤوسه ناكوين مراقبة شديدة للتأكد من أن الرجل أبلغه بوجود أي خطر من الغواصات ـ وبخاصة ذلك الخطر الذي، وفقاً لتقرير المفتش العام، «كان سيبدو سبباً كافياً [لقيادة موراي] لتحويل إنديانابولس عن مسارها».
- وأخيراً، أقر الأميرالان كنغ ونيمتز ورؤساء أركانهما الأمر المبهم المتعلّق بوصول السفن ولم يطلبوا بأن تبحر السفن القتالية بصحبة مرافقة.

كان فورستال صارماً. من أجل مصلحة البحرية، شعر، كما يبدو، أنه لا يمكن تأنيب أي أميرال أو مرؤوس قد تنعكس شهادته على أي أميرال.

ومن جهة أخرى، ألا يتوجب ذكر أسماء بعض الضباط الأدنى مرتبة من أجل حماية الأميرالات ـ هذا فضلاً عن الوزير الذي كان في نهاية المطاف مسؤولاً عن إخفاقات البحرية؟ اعتبر فورستال هذا الحل معقولاً على ما يبدو رغم أن المفتش العام كان قد كتب إلى كنغ يقول: «لا يمكن القبول بأن الإخفاق الأساسي كان نتيجة عنوان رسالة مشوَّشة أو التفسير الأحمق لأمر صادر عن مدير ميناء بالوكالة، وإنما كان عدم تنسيق وعدم تكامل استخبارات من قبل العديد من القيادات العليا».

على أية حال، تردَّد فورستال، كعادته، في مجابهة كنغ، بينما كان كنغ يريد كباش فداء. ولكن بدا للوزير أنه من الإنصاف له أن يصغي على الأقل إلى ستورات جبسون بعد الحملة القوية التي قام بها الرجل لتبرئة نفسه.

عند عصر أحد أيام شهر شباط/فبراير، قبل أيام قليلة من المؤتمر الصحفي، كان جبسون، وقد أصبح الآن مدنياً، مسترخياً في منزله في رتشموند بولاية ڤيرجينيا. كان على وشك البدء في عمل جديد في أحد المصارف وكان يستمتع بما تبقى له من أيام قليلة خالية من العمل بعد تسريحه من البحرية.

كان جبسون قد فقد الأمل فعلياً في أن يجعل البحرية تشطب من إضبارته التأنيب الذي تسلمه بعد جلسات التحقيق من غوام. فقد كتب إلى السلطات البحرية وتهاتف معها ملتمساً إياها بإعادة النظر في القضية ولكن كان الرد دائماً غامضاً ـ «سنرى» أو «اتصل بنا ثانية».

حسناً، ماذا يهم، لم يعد يعمل في البحرية ومن سيرى التأنيب على أية حال؟ لقد جرح غروره وإحساسه بالعدالة، وبكل بساطة لم يكن الأمر جديراً بالقلق.

بيد أن «الظلم» استمر في الاعتمال في صدره. شعر أن الخطأ كله كان خطأ الأميرال كنغ. وكان كنغ جزءاً من نظام فاسد عليه أن يعتمد على كباش فداء لحماية أميرالات متغطرسين على شاكلته.

قال جبسون لزوجته بمرارة: «تتصرف البحرية بوصفها الحاكم وهيئة المحلفين».

وعلى الرغم من ذلك، حاول نسيان القضية الدنيئة برمَّتها والتعويض عن كل الوقت الذي أضاعه بعيداً عن زوجته وأطفاله الثلاثة. كما عليه أن يفكِّر في وظيفته الجديدة التي كان متأكداً بأنه سينجح فيها. كان عاملاً متفانياً ـ مهما قالت البحرية عنه.

رن جرس الهاتف ورد جبسون. صمت، ثم: «تريدني في واشنطن ـ غداء؟؟» وعندما أنهى المكالمة، قال لزوجته: «إنها البحرية. يريدون التحدُّث معي».

«حول ماذا؟».

لم يعرف جبسون، ولكنه افترض أن الأمر يتعلق بمحاولة تبرئة اسمه، صعب عليه تصديق ما يحصل: سيرسلون طائرة خاصة لنقله إلى واشنطن في الصباح!

وفي صباح اليوم التالي بعد رحلة قصيرة بالطائرة، ذهل جبسون

حين وجد نفسه يدخل غرفة الوزير فورستال نفسه. ولما جلس بين العديد من الأميرالات، تصفَّح فورستال إضبارة ووجه إليه أسئلة عديدة. قال فورستال دون أي تلميح عدائي إنه كان يريد فقط توضيح بعض النقاط التي أوردها جبسون في رسائله.

أشار جبسون إلى أنه لم يكن استثنائياً، إذ على حد علمه لم يكن هناك مدير ميناء واحد أبلغ عن عدم وصول سفن قتالية. لماذا ينبغي الانفراد به؟ أعرب عن أمله في أن تبرأ ساحته.

بدا فورستال متعاطفاً رغم عدم ظهور أية تعابير على وجوه الأميرالات.

لماذا أحضر إلى واشنطن؟

حسناً، سيعقد مؤتمر صحفي ومن المحبذ الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات.

مؤتمر صحفي؟ خمن جبسون أنه لربما يتعلَّق بمحاكمة مكفاي العسكرية.

ولدى انتهاء الاجتماع، كان جبسون متفائلاً باحتمال أن يشطب في نهاية الأمر التأنيب الذي حصل عليه في غوام. وعندئذ يمكنه أن يلقي وراء ظهره كل ما يعانيه من كرب.

في 23 شباط/ فبراير 1946، وقف أميرال الأسطول نيمتز الذي حلَّ محل كنغ كرئيس للعمليات الحربية بعد استقالة خطَّط لها منذ وقت طويل وتمَّت قبل عدة أيام أمام مجموعة واسعة من الصحفيين

في وزارة الدفاع الأمريكية. بدا متوتراً نوعاً ما وكأنه كان يتمنى لو يعود إلى منزله يزرع الورود؛ علم على ما يبدو أنه لم يكن يكشف الحقيقة بكاملها. كان الأمر المهم هو منع الشعب من أخذ فكرة سيئة عن تجربته. وبعد توزيع نسخ من السرد، قال نيمتز: «ليس هناك تفكير في تبرئة أي شخص في البحرية ينبغي معاقبته على أداء مهمته فيما يخص غرق إنديانابولس وما نجم عنه من خسارة في الأرواح».

قال الأميرال إنه فيما بتعلَّق به هو، «يجب أن أتحمَّل قسطي من المسؤولية بالقدر الذي ينبغي لقائد عام أن يعتبر مسؤولاً عن إخفاقات أو أخطاء في التقدير».

ومما أثار هذا «الاعتراف» رسالة وصلته من إي. كونللي .E Connelly، والد أحد المتوفين، تلا من الرسالة:

> «لقد بحثنا بدأب في الصحف وغيرها من المنشورات عن اعتراف منك بجزئك من الخطأ وعدم الكفاءة المتصلين بغرق السفينة الحربية إنديانابولس. ولم نر شيئاً حتى تاريخه. وبالنيابة عن... العائلات الثكلى، فإنك مدين لنا ولنفسك بالإدلاء ببيان علني».

ها هو نيمتز يدلي ببيان علني وهو الذي كان قد أقر الأمر بشأن وصول السفن القتالية والذي ضلَّل ضباط قيادة حدود بحر الفلبين ـ ولكن سيكون اسمه بالطبع غائباً عن قائمة الأشخاص الذين يجب تأديبهم. فقد تمت ترقيته بالفعل لأعلى منصب في البحرية الأمريكية.

تجرَّأ أحد الصحفيين الآن على طرح السؤال التالي: «أتساءل عن سبب محاكمة الكابتن مكفاي عسكرياً بينما أكتفي بتوجيه تأنيب، إذا جاز التعبير، إلى الضباط المسؤولين بشكل مباشر أو غير مباشر عن الوقت غير الاعتيادي الذي لم يباشر فيه في البحث، بدلاً من الحكم على شخص بأنه «مذنب» في محاكمة عسكرية».

اكتفى الأميرال شيرمان، أحد الذين أجروا المؤتمر الصحفي، بالرد التالي: «حسناً، لا يمكنني التحدث عن الأسباب التي أفضت إلى ذلك القرار».

ولكن السرد بدا وكأنه يقول «فيما يخص الأسباب».

كان من المقرَّر أن تصل إنديانابولس إلى لايته عند الساعة الحادية عشرة من صباح 31 تموز/ يوليو. ويحتمل أنه في الأحوال الاعتيادية، لن يبدأ الإحساس بالقلق فيما يخص عدم وصولها إلاَّ بعد تأخر ثمان أو تسع ساعات عن موعد وصولها. ومرَّت ساعات إضافية عديدة... للتأكد من تحركاتها بحيث إن البحث عنها لم يكن ليبدأ على الأرجح إلاَّ بعد مضي زهاء 24 ساعة على الموعد المقرَّر لوصولها. وقد يكون ذلك في وقت ما قبل ظهر 1 آب/ أغسطس. وشاهدت الناجين بالفعل طائرة كانت في دورية روتينية عند حوالى الساعة 10:25 من صباح 2 آب/ أغسطس.

وقد أشير إلى أنه حتى بدون وجود إهمال، سيكون المئات قد أصبحوا في عداد الموتى عند وصول العون بموجب النظام الذي

يشوبه الخلل والذي كان نافذاً آنذاك. وبدا أن السرد أراد القول: حيث إن الإهمال لن يكون مسؤولاً إلاَّ عن مجموع عدد قتلى يوم واحد فقط، ليس من المنطقي الحكم بقسوة بالغة على أولئك المسؤولين عن التأخير. وتجاهل السرد حقيقة أنه تم العثور على الناجين مصادفة. وبالإضافة إلى ذلك، ووفقاً للسرد «لم يكن للإخفاق في إجراء تقييم دقيق لتقرير ورد من غواصة يابانية أثر بالضرورة على مواصلة الحرب ككل وإنما كان بالفعل ذا أهمية محلية ليس إلاَّ». وعلى أية حال، أسهم الإهمال في موت 880 رجلاً فقط.

من الذي سيؤدب إذن؟ أدرج السرد أسماء المذنبين وشرح سبب وجود اسم كل منهم في القائمة.

حصل العميد جيليت والنقيب غرانوم اللذين لم يبلغا برداءة سمعتهما إلاَّ قبل ساعات من المؤتمر الصحفي على كتابي تأنيب لعدم إيلائهما «انتباهاً شخصياً أوثق لعمل مرؤوسيهما القليلي الخبرة (سانشو وجبسون)»، ولسماحهما بحالة تنظيم سائب ضمن قيادتهما.

ورغم ذلك، كان رئيس جيليت، نائب الأميرال كاوفمان، قد أثنى على الرائد «لمبادرته وجهده الذي لا يعرف الكلل ومقدرته الإدارية»، في حين كان غرانوم قد حصل قبل شهرين فقط، في تشرين الأول/ أكتوبر على وسام جوقة الشرف مع إشادة تقول: «مكافأة على سلوك جدير بالتقدير على نحو استثنائي في أداء خدمة رائعة... من أجل حماية جميع السفن».

أمّا الضابط سانشو، الذي لم يبلغ مسبقاً بأنه سيسمى علناً، فقد كان تلقى كتاب تنبيه لعدم علمه بأن السفينة إنديانابولس لم تصل أبداً إلى لايته رغم أن «من واجبه... البقاء على اطلاع على مثل هذه المسائل».

وحصل الملازم جبسون على كتاب تأنيب «لعدم التحقيق في عدم وصول السفينة، ولعدم الإبلاغ فوراً عن واقع الأمر إلى رؤسائه». قال السرد إنه يتوقع الإبلاغ عن حالات عدم الوصول ـ حتى وإن أقر السرد «عدم صدور أي أمر كهذا» مما سمح باستخلاص استنتاج مفاده... أنه لما كان لا يتعيَّن الإبلاغ عن وصول السفن القتالية، فلا يتعيَّن بالمثل الإبلاغ عن عدم وصول السفن.

ثم كشف السرد عن «أن هذه المسألة قد تم توضيحها منذ ذلك الحين بعبارات لا يمكن إساءة تفسيرها». وكانت هذه الإفادة، من الناحية الجوهرية، إقراراً بإهمال الأميرال نيمتز وغيره من كبار الضباط بعدم توضيح الأمر الأصلي. ولكن هذا الإهمال، في رأيهم، لا يعفي الضباط المرؤوسين الذين أساؤوا تفسير الأمر من العقوبة على هذا الإهمال.

كان جبسون مسترخياً في منزله في هذا اليوم «الأحد» يقرأ صحيفة وكان المذياع مفتوحاً. وفجأة خيل إليه أنه سمع أشياء ـ اسمه. رفع صوت المذياع وسمع مذيعاً يقتبس من السرد. قال الرجل إن إهمال جبسون تسبب في موت 880 شخصاً! لم يذكر شيء عن الأمر المخل الذي أطاعه.

صاح جبسون: «يا إلهي!».

لم يستطع تصديق ما سمعه، إذ قبل بضعة أيام فقط، كان يجلس في مكتب الوزير فورستال ولم يخبره أحد أن توبيخه سيظل سارياً، وحتى إنه سيعلن عنه. على الأقل كان يتعيَّن على أحد ما تحذيره لكي تتسنى له فرصة إعداد رد. كان ينحدر من إحدى أقدم العائلات في رتشموند، وقد ألحق بها العار الآن. كيف يمكن لزوجته مواجهة صديقاتها؟ كيف يمكن قبول أطفاله في المدرسة؟ ماذا سيحل بمهنته؟ كان في موقف حساس على نحو خاص لأنه كان على وشك البدء في وظيفة جديدة. سوف تتصل به الصحافة في أية لحظة الآن، ولا يعلم ماذا سيقول لها.

تدفقت هذه الأفكار في ذهنه وهرع إلى الهاتف في حالة من الهلع واتصل بأخيه، جورج، الذي كان يمتهن المحاماة.

صرخ أنه بحاجة إلى مساعدة. هل ينبغي له مقاضاة البحرية لتشويه سمعته؟ هل يطلب إجراء تحقيق في الكونغرس؟

قال جورج إن ليست لديه اتصالات مع أحد في واشنطن ولكنه سيوصي له بمحامٍ لديه مثل هذه الاتصالات. اتصل جبسون بالرجل على الفور وشرح له موقفه.

قال المحامي إنه سيتولى القضية: «ولكنها ستكلفك كل سنت تملكه. وسوف تستغرق وقتاً طويلاً وثمة احتمال بعدم كسبها. وإذا كسبتها، لن يتذكر أحد أن ساحتك قد برِّئت. واستناداً إلى كل الدعاية

السارية، ستظل تذكر بأنك الرجل الذي أغرقت الطراد إنديانابولس. لذلك تخلَّ عن القضية».

أعاد جبسون سمَّاعة الهاتف ببطء وهو مشدوه ومحطَّم.

سأل زوجته عما ينبغي عمله، وهي تعلم أنه محارب.

قالت إنها تريد القتال لو كان لديها المال، إذ إنهما مدينان بذلك لأطفالهما. ولكن نظراً لمدخراتهما المتواضعة، هل يجدر خوض المعركة؟

كلا، كان المحامي محقاً. كان ستورات جبسون يعرف أنه بريء وكذلك كانت زوجته. وسيصدِّق أولاده ذلك. ما من شيء يهم حقاً. سوف ينسى الموضوع. ولكن حين بدأت وسائل الإعلام في الاتصال تريَّث وظلَّ يتساءل عما إذا كان ينبغي له أن يصبَّ جام غضبه. وبدلاً من ذلك، اكتفى بالإجابة بصوت متهدِّج: «لا تعليق».

في جميع الأحوال، كان الكابتن مكفاي على رأس كل قصة. قال السرد ببراعة إن الوزير صادق على توصيات المحكمة ولكن الأميرال كنغ قد ألغى الحكم الصادر ضد مكفاي وأعاده إلى الخدمة.

هل سيتمكَّن الكابتن من التقدُّم في البحرية؟ سؤال وجهه أحد الصحفيين إلى الأميرال دنفيلد في المؤتمر الصحفي.

اختار دنفيلد كلماته بعناية: «حسناً، بالطبع، عندما يتعلَّق الأمر بشخص حوكم عسكرياً وفقد سفينته، يظل السؤال المطروح: هل سنعطيه سفينة أخرى أم لا».

ثم أوضح الأميرال نيمتز الجواب بنفس الإزعاج الذي يشعر به رجل ابتلع مسامير وقال: «لم تلغ الإدانة وإنما أُلغي الحكم». وكان نيمتز قد عارض المحكمة العسكرية في المقام الأول.

وتقديراً على ما يبدو «لقبول» مكفاي هذه الوصمة الدائمة برزانة، كافأته البحرية بعد شهرين بتقليده وسام النجم البرونزي لما أبداه من شجاعة في أوكيناوا. ولكن لم يتم الإعلان عن ذلك عبر قنوات العلاقات العامة الوطنية التابعة للبحرية وإنما تم بهدوء وعبر القيادة البحرية لنهر بوتوماك Potomac River التي تأذن بنشر أخبار ذات اهتمام محلي.